ديوان السليمانيات

(خاطرة شعرية)

قراءة في أوراق المَاضي!

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

قراءة في أوراق المَاضي!

(من لا ماضيَ له لا حاضرَ له! ومن لا حاضرَ له لا مستقبلَ له!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

قراءة في أوراق المَاضي

(مُنذُ كانتْ إصابتي في مُقلتي اليُسرى هذه وأنا أقارنُ بينَ أوراق الماضي السحيقِ الوريف ، والحاضرِ الرقيق الأسيف. أقرأ هنا مرة ، وهناك أخرى ، وأحزنُ في نفسي. والحزنُ رفيقُ الكئيب وصديق المطعون ، ولذا نَحَلَ الجِسم وذابَ الشعورُ فعلًا. واللهُ يُفَرجُ الهم والغم ، (وما بكم من نعمة فمن الله) ، (والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)! وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وفي الحقيقة ، لم يكن لي وَلَعٌ بِمَا يُسَمَّى ـ هذه الأيام ـ بالشعر الحُر أو الشعر المنثور ، أو النثر المشعور ـ ذلك أنَّ الشعرَ العربيَ الأصيلَ براءٌ كل البراءة مِنْ شيء يُنْسَبُ إليه ويحملُ اسمه ما لم يكن على قواعده وأصوله وضوابطه ونهجه وأوزانه وقوافيه وجماله ووحدته ونسقه ومنواله وألفاظه.

كتب محمد عباس عرابي ▪ بتاريخ 2016/01/11م مجلة الأدب الإسلامي الإلكترونية العدد 55 في التعليق على كتاب (الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته تأليف / الدكتور عدنان النحوي) ما نصه: (وأما عن ظروف تشكّل الشعر العربي الحديث ، فلقد عُرف الشعر العربي الحديث ـ وهو لمَّا يَزَلْ حَدَثاً يحبو في دنيا التأسيس ـ في الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة بعدة تسميات أبرزها: (شعر التفعيلة ، والشعر الحر ، والشعر الحديث ، والشعر المنطلق ، والشعر المرسل ، والشعر الجديد ، والشعر المنثور ، والنثر المشعور). وقد تناسلت مجموعة من الظروف والعوامل التي تفسر الإبدالات التي مسّت بنية هذا الفتح الشعري الجديد لعل أبرزها: أحداث ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وما رافقها من حركات تحرر ترنو إلى التحرر والديمقراطية والعدالة ، ثم ضياع فلسطين زمن نكبة 1948م ، الذي جعل الشاعر المعاصر يحدق في اليقظة المفزعة والحقيقة المُرة ، التي حملتها رياح الأزمات والحروب والأوضاع السياسية المتأزمة على المنطقة العربية ، بالإضافة إلى انفتاح الشاعر على الآداب العالمية والثقافات الغربية ، والاغتراف من الروافد والأيديولوجيات والأفكار والفلسفات المختلفة سيّما الاشتراكية والوجودية ، وكذا الشعر العالمي (توماس إيليوت ، لوركا ، مایاكوفسكي ، ناظم حكمت..) وكلك الملاحم والأساطير اليونانية والبابلية (جلجامش ، العنقاء ، سيزيف ، عشتار..) ، والموروث السِّيري والصوفي الإسلامي والعربي القديم (سيرة كل هذه العوامل أسهمت في تشكّل تصور جديد للشعر عنترة ، أبي زيد الهلالي../ الحلاج ، ابن عربي..). Le répertoire العربي ، يؤسس لبدائل تعبيرية جديدة جاءت لتستفزّ السّجل النصي للقارئ الواعي! وتجعله يستنفر كل خزّاناته الذهنية والفكرية لتأويل المنجز النصي الجديد ، وفك رموزه du texte ومكوناته اللغوية والدلالية (وعلى رأسها العنوان باعتباره بوابة النص ولبنة من عتباته ، تستثير القارئ لاكتشاف محتواه من حيث التركيب والدلالة والإحالات المرجعية حسب ليوهوك. والقرائن الزمنية والمكانية والحالية وقرائن الإرسال والاستقبال ، والوظائف والموضوعات والإشارات النوعية والإغرائية حسب جيرار جنيت). وتقوم هذه البدائل على تحولات إيقاعية وفنية ودلالية ، تجاوزت القصيدة القديمة في بنيتها الإيقاعية والتركيبية والدلالية ، وكسرت نمطها الصارم وبنيتها من حيث المعالم الشكلية ، ونظام القافية والروي الموحد وأسست لشعر التفعيلة ، الذي يتيح للشاعر آفاقاً رحبة قادرة على استيعاب المستجدات والمعطيات الحضارية والفكرية والواقعية للعصر ، عكس القصيدة الشطرية التي تقيد الشاعر بشكلها الهندسي الصارم ـ الذي لا يصح الخروج عنه ـ وتكبح أفكاره المحمومة بنموذجها الواحد. تقول نازك الملائكة مبررة دوافع تحرر الشاعر الحديث من الشكل القديم: "لقد وجد الشاعر الحديث نفسه محتاجاً إلى التحرر من هذا النظام الهندسي الصارم الذي يتدخل حتى في طول عبارته ، وليس هذا غريباً في عصر يبحث عن الحرية ، ويريد أن يحطم القيود ، ويعيش ملء مجالاته الفكرية والروحية". بهذا أصبح شعر التفعيلة / أو الشعر الحر متحرراً من الشكل الهندسي القديم ، وحافظ الشاعر المعاصر فيه على

الوزن والقافية لكي يحقق بهما الشاعر نفسه وذبذبات مشاعره وأعصابه" ، ووظف السطر الشعري بدلًا من الشطر الشعري ، تماشياً مع نظرته الشعرية الخاصة ، ودفقته الشعورية والوجدانية والعاطفية والتأملية ، وأحدث رجّة لدى النقد المحافظ بعد إعلان التيار الجديد قطيعته الإبيستيمولوجية مع القديم في مضامينه وهيكله العمودي ؛ إذ أرسل المحافظون شواظاً من نار على هذا المولود الجديد الذي يرنو إلى التحديث والمعاصرة استجابة للتحولات المعاصرة ، فكانت المعركة أشرس من تلك التي أعلنها الرومانسيون العقاد والمازني على مَن سموهم "أصنام الشعر" الإحيائي: حافظ وشوقي والرافعي. ولكَ أن تعود إلى كتاب: "الشعر المتفلت" للدكتور الشاعر المفكر الناقد الناصح الأمين عدنان علي رضا النحوي ، لتقرأ العجب العجاب ، وكيف اعتبر الشعر الحر "شراً على دين الله ولغة دينه" ، بل "فتنة وابتلاء من الله لعباده" ، قال في إهدائه: "إلى كل من أغرته فتنة الزخرف الكاذب من الشعر المتفلت ليرجع إلى الحق" ، وقال في مقدمته: "والشعر المتفلت بالتفعيلة أشد خطراً على اللغة العربية من المتفلت بالنثر - يقصد قصيدة النثر - وكلاهما خطر شديد ومؤامرة على اللغة العربية". واعتبر الدكتور أن المثل الأعلى في الشعر هو نظام الشطرين الذي لا يحيد عن الوزن والقافية والروي ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة في الشعر الحر إلا هاجمها وندد بها ، وكأني به نقد فقهي أو عاطفي وليس أدبياً ولا نقداً منهجياً! وما ذلك إلا لأنه ينطلق من الفكر المؤامراتي الذي يعتبر كل جديد في الأدب معولاً لهدم الثقافة والدين واللغة .. إلخ ، وليت شعري ماذا يقول في أبي تمام وبشار وأبي نواس ومسلم بن الوليد وابن الرومي الذين التزموا بالقالب العمودي ولم يلتزموا بالمعاني التي تُصبّ فيه؟ وحتى الشعراء الذين وُصفوا بالزندقة والمروق ، واتهموا في دينهم وطباعهم وثقافتهم كمطيع بن إياس ، وحماد عجرد ، ووالبة بن الحباب ، والحسين بن الضحاك ، وأبان بن عبد الحميد ، وصالح بن عبد القدوس التزموا بالقديم في شكله وتجاوزوه في أهم مقوماته وسُنَنه الشعرية ، وأجادوا في مبناه وسبكه ومعانيه؟ وماذا يقول في شعر الرومانسيين إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران الذين نظموا على نظام الشطرين ونظام المقاطع وكان شعرهم جيداً ، ولَمّا يكونوا مسلمين في عقيدتهم! ولو عاد إلى الشعر القديم سواء العباسي أو الأندلسي لوجده مفعماً بالتجديد والأشكال الجديدة والمعاني الجديدة ، عُدْ مثلاً إلى أبي نواس في وثوبه على المقدمة الطللية وهي إحدى ركائز المنجز الشعري القديم ، وانظرْ إلى التجديد لدى أبي تمام في حماسته الصغرى والكبرى ، وابن المعتز في "البديع" وهو يؤسس لمنهج شعري جديد ، ولا يخفى كذلك على الدكتور ما أبدعه شعراء الأندلس من جديد على مستوى الشكل ، وما الموشحات والمخمسات والرباعيات والمزدوجات منا ببعيد ، وحتى النقاد والبلاغيون القدامى – حينما نتحدث في جانب آخر مثلاً عن مسألة الوزن - الذين شددوا في مسألة الوزن في الشعر كابن رشيق ، اعتبروه مجرد عنصر كباقي عناصر الشعر الأخرى ، وذهب إلى أن الشاعر سمي شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ، أي لا أساس لها ولا رصيد! (راجع: العمدة) ، وإذا تتبعنا شعر الأولين نجد أن بعضه أو كثيراً منه- سيما الجاهلي - لم يرد على ميزان الخليل وما تمليه قواعد الخليل في عمود الشعر. ولهذا فالشعر يعيش عصره ، بأشكال تتلاءم ومتطلبات العصر ومضامينه فكان لا بد من "تطوير الإيقاع الشعري العربي وصقله على ضوء المضامين الجديدة. فليس للأوزان التقليدية أية قداسة". ومن أهم رواد هذا الاتجاه الشعري الجديد الأوائل نذكر: الناقدة والشاعرة العراقية نازك الملائكة بقصيدتها "الكوليرا" ومقدمة ديوانها "شظايا ورماد" ، وكتابها المؤسس لعروض الشعر الجديد" قضايا الشعر المعاصر" ، وبدر شاكر السياب في ديوانه "أزهار ذابلة" الذي ضم قصيدة حرة بعنوان "هل كان حباً" ، بالإضافة إلى عبد الوهاب البياتي بديوانه "ملائكة وشياطين" ، واتسعت دائرة هذا الاتجاه لتشمل صلاح عبد الصبور ، وأمل دنقل ، ومظفر النواب ، وأحمد عبد المعطي حجازي ، وأدونيس ، ويوسف

الخال ، ومحمود درويش ، وخليل حاوي ، وفدوى طوقان ، ونزار قباني. وفي المغرب :عبد الله راجع ، ومحمد الخمار الكنوني ، ومحمد الأشعري ، ومصطفى المعداوي ، وأحمد المعداوي ، ومحمد السرغيني ، ومحمد بنيس. إن تكسير البنية القديمة لا يعني التمرد الكاسح والخرق الكلي لعمود الخليل ، والخروج المطلق عن كل الأسس الإيقاعية للقصيدة الشطرية ، وإنما يعني عدم التزام الشاعر المعاصر بتفعيلات محددة ، وقافية موحدة ، ومعجم يستدر معانيه من ضرع القاموس القديم ، ونهجه نهجاً إيقاعياً جديداً ، رغبة منه لجعل القصيدة وحدة متماسكة ، تعبر عن المضمون الفكري المرتبط بقضايا العصر ، وإحباطات الإنسان المعاصر وعذاباته ، فالشعر الحديث "لا يتقيد بعدد محدود من التفاعيل لكل بيت ، ولا يلتزم بجميع أحكام العروض التقليدية ، بل يسمح لنفسه بتنويع الإيقاع مجاراة لما يتطلبه المضمون الفكري والعاطفي". وبخصوص شعر الرؤيا فقد سعى الشاعر المعاصر إلى تشكيل رؤاه الخاصة ، في ظل المستجدات والقضايا التي يعرفها الواقع المعاصر ، والتعبير عن انفعالاته وقلقه الوجودي وتجربته الإنسانية العميقة التي تتجاوز الظاهر إلى الباطن ، بآليات فنية وتعبيرية مختلفة وتراكيب انزياحية جديدة تجاوزت المألوف ، فأصبح الشعر رؤيا تتطور بتطور العالم ، ومدى انفتاح الشاعر عليه ، وإحساسه الشامل بحضوره فيه ، ولم تعد اللغة تقوم فقط على مجرد وظيفة تعبيرية أو جمالية ، بل تجاوزت المألوف ، لتخلق علاقات جديدة بين الشاعر والمتلقي ، موظِفاً رموزاً وأساطير تجسد رؤيا الشاعر ومشكلاته في الوجود ، فأصبح النص السطر الشعري مكثفاً يحمل دلالات متعددة منفتحة على تأويلات مختلفة ، يجد فيها كل قارئ خريطة ما. الشعري: اتخذ شعر التفعيلة شكلاً طِباعياً جديداً يختلف عن الشكل الطباعي لنظام الشطرين ، فاعتمد الشاعر أسطراً شعرية متفاوتة الطول والعدد ، وظف فيها التفعيلة توظيفاً مغايراً للقصيدة القديمة ، يحقق الانسجام الإيقاعي بين الأسطر الشعرية ، ويُخضع طول السطر الشعري أو قصره لطبيعة "الدفقة الشعرية" لديه. ومن أمثلة هذه الأسطر المتفاوتة نورد قصيدة "الآفاق" للشاعر العراقي المعروف عبد الوهاب البياتي وكأنه عبث متعمد في القصيدة وبنائها:

سكتت وأدركها الصباح ، وعاد للمقهى الحزينْ

كالسائل المحروم ، كالحلزونْ

يتنظر المساءْ

وغداً ستوصد بابها في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين

ولا يعود

كالسائل المحروم ، ينتظر المساء"

انبنت هذه القصيدة على بنية مفتوحة ، يتفاوت فيها طول البيت بحسب التفعيلات الموجودة ، ويرتبط هذا التفاوت بالإيقاع النفسي للشاعر ودفقته الشعورية. وقد لا يرتبط الشاعر المعاصر بنفس التقسيم الشكلي الذي عُرف به الشعر الحر ، فيوظف كَالِيغْرَافاً قائماً على توزيع الأسطر والكلمات وتجزيئها حسب الحمولة الدلالية للقصيدة ، فتتفاوت الأسطر أو تتساوى لخدمة النسق المضموني الذي بنيت به القصيدة ، لعل أبرز مثال ، قصيدة لصاحب الشاعر بعنوان "قصيدة أخرى تأكل نفسها" ليصور كاتبها أنها تحاكي الواقع كما يتوهم! يقول فيها:

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً بالرصاصِ فصحتُ: اخطئيني

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً بالرصاصِ فصحتُ:

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً بالرصاصِ

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة

سيدي الحبّ أملى عليّ

سيدي الحبّ أملى

سيدي الحبّ

سيدي

فالشاعر هنا "أراد أن يرمز بالشكل للواقع المتآكل ، فكان أن وظف الشكل متناقضاً متآكلاً ، ليبرز تآكل المجتمع ، أو تآكل المعاني والقيم فيه وشروعَ هذه القيم في التراجع. فلهذا جماليته الخاصة ، حيث تنتج الدلالة بتوظيف الرمز للواقع على هذا النحو التشكيلي العجيب ، الذي يُلمّح إلى إمكان جعل الشكل في ذاته ، موضوعاً شعرياً من ناحية ، وعنصراً دلالياً من ناحية "المقطع الشعري: يرتبط المقطع الشعري أساساً بالأسطر الشعرية التي تتألف منها القصيدة ، إذ تتوزع هذه الأسطر إلى محطات أو مجموعة من الأسطر الشعرية المنسجمة فيما بينها ، يفصل بينها الشاعر بعلامات ، أو أرقام ، أو عناوين فرعية ، أو أشكال ، أو نجمات ، أو مثلثات ، أو حروف ، أو مربعات ، أو بياضات ، أوفراغات. وتسمى كل مجموعة مقسمة مقطعاً شعرياً. وقد يتحدد المقطع الشعري بنواة دلالية توحد بين أسطره ، أو جملة ، أو عبارة معينة ، أو لازمة تتكرر في بداية كل مقطع أو نهايته. ومثاله قصيدة "أرى شبحاً قادماً من بعيد" من البحر العروضي المتقارب للشاعر الفلسطيني المعروف محمـــود درويـــش إذ يقـــول:

أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدْ

أُطلُّ على أصدقائي وهم يحملون بريدَ

المساء: نبيذاً وخبزاً ،

وبعض الروايات والأسطواناتْ...

أُطلُّ على نورس ، وعلى شاحنات جنودْ

تغير أشجار هذا المكانْ.

أُطلُّ على كلب جاري المهاجرِ

من كندا ، منذ عام ونصف...

أطل على اسم "أبي الطيب المتنبي"

المسافر من طبريا إلى مصر

فوق حصان النشيدْ

أطل على الوردة الفارسية تصعدُ

فوق سياج الحديدْ

أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدْ

أطل على شجر يحرس الليل من نفسهِ

ويحرس نوم الذين يحبونني ميّتاً ..

أطل على الريح تبحث عن وطن الريحِ

في نفسها ...

أطل على امرأة تتشمس في نفسها ...

أطل على موكبِ الأنبياء القدامى

وهم يصعدون حفاةً إلى أورشليم

وأسأل: هل من نبي جديدٍ

لهذا الزمان الجديدْ؟

أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدْ

أطلُّ على شبحي

قادما

من

بعيد...

وإذ نتأمل هذه القصيدة إن جازت تسميتها قصيدة نجدها تتضمن هذه الخصائص:

الشكل الطباعي: قسّم الشاعر النص إلى ثلاث مجموعات / مقاطع ، متفاوتة من حيث عدد الأسطر ، فصل بينها بمربع ، وبلازمة: أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدْ. وأما عن التفعيلات والإيقاع: كسر الشاعر البنية الكلاسيكية للقصيدة ، فلم يورد التفعيلات متقابلة كما في القصيدة التقليدية في نظام الشطرين (فعولن أربع مرات في كل شطر) ، بل جعلها متفاوتة العدد ونوّع القافية (أريد ، بريد / نفسها نفسها). وأما عن البنية الدلالية: الملاحظ أن النص يتمحور حول بؤرة دلالية واحدة هي: الإطلالة ، تتجلى في: - (المقطع الأول): أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ. (المقطع الثاني): أطل على شجر. - (المقطع الثالث): أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريد. هذا والوقفة العروضية اعتبر النقاد والشعراء القدماء البيت الذي يكون مستقلاً في معناه بيتاً جيداً ، يميز الشاعر المتمكن عن غيره ممن يسقط في عيب "التضمين" ، بيد أن الشاعر المعاصر لا يخضع قوله

وعباراته للهندسة الشطرية ، التي تتحكم بصرامتها في البيت التقليدي ، بل يقف حينما يكتمل المعنى الذي يريده ، والدفقة الشعورية والوجدانية التي تحكم تجربته. وهذه الوقفة لا تلتزم بانتهاء الوزن كما في الشطر التقليدي ، وإنما يضفي الشاعر الحديث على السطر الشعري نفَساً إيقاعياً محدداً ونغمة صوتية تنتهي بها الأسطر الشعرية ، وتعتبر بمثابة امتداد لأسلوب التقفية في القصيدة التقليدية ، وهذا ما يسمى بالوقفة العروضية. والوقفة الدلالية: هي وقفة تكون بانتهاء المستوى المعنوي والدلالي ، المرتبط بنفسية الشاعر ووجدانه والمعنى المراد التعبير عنه. وقد يكتمل الجانب الوجداني لدى الشاعر حسب تجربته الانفعالية ، بيد أن البنية العروضية قد لا تكتمل ، فيورد تفعيلة تحقق الانسجام الإيقاعي في القصيدة. فمثلاً قال الشاعر الفلسطيني محمود درويش في قصيدة "حبر الغراب":

أنا أنتَ في الكلمات. يجمعنا كتابُ

واحدٌ. لي ما عليك من الرماد ، ولم

نكنْ في الظل إلا شاهدين ضحيتينِ

قصيدتينِ

قصيدتينِ

عن الطبيعة ، ريثما يُنهي وليمته الخرابُ.

عندما نتأمل هذا المقطع من الناحية الإيقاعية نجد أنه يتضمن نغمة صوتية تنتهي بها الأسطر الشعرية (كتابُ- الخرابُ ضحيتينِ - قصيدتينِ - قصيدتينِ) ، وهذه النغمة تحقق نفَساً إيقاعياً بمثابة امتداد للتقفية في القصيدة الكلاسيكية. فتحققت الوقفة العروضية هنا بتكامل العناصر العروضية المكونة لها. ومن ناحية أخرى نلاحظ أن الشاعر فصل في السطر الأول بين لفظة "كتاب" ولفظة "واحد" التي هي صفة لها ، ولفظة "لم" مع الفعل" نكن" للضرورة العروضية فغلّب الوقفة العروضية على حساب المعنى ، موظفا القافية / الروي الواحد (كتاب - خراب / ضحيتين – قصيدتين) لتحقيق الانسجام الإيقاعي في المقطع. - شعرية اللغة: إذا كان التشبيه والاستعارة في القصائد التقليدية يقومان على مماثلة شيء محسوس بآخر مثله محسوس (الصورة الشعرية المفردة) ، أو صورة محسوسة بشيء معنوي (الصورة الشعرية المركبة) ،أو تكثيف الصورة بعناصر متنوعة (الصورة الشعرية الكلية) ، لعلاقةٍ أو لشبهٍ بين المشبه والمشبه به ، فإن الصورة الشعرية في الشعر الحر تقوم على الانزياح التصويري ؛ في المفردات ، والتراكيب ، والعبارات الموظفة ، يتخذ مظاهر متعددة منها: الانزياح الدلالي ، والانزياح النحوي ، والانزياح العروضي ، تتجاوز ما هو مباشر ومألوف في اللغة ، إلى لغة متنافرة وتراكيب جديدة ومعان جديدة ، تُكسب النص الشعري إيحاءات ودلالات قوية ، تستفز خيال المتلقي ، وتثير دهشته ليشارك في بناء المعنى واستغوار لآلئه ومعانيه. يقول أدونيس في هذا الصدد: "تتيح لنا الصورة أن نمتلك الأشياء امتلاكاً تاماً (..) فهي من هذه الناحية ، الأشياء ذاتها ، وليست لمحة أو إشارة تعبر فوقها أو عليها. وامتلاك الأشياء يعني النفاذ إلى حقيقتها فتتعرى ، وتتلألأ في النور... هكذا تكون الصورة مفاجأة ودَهَشاً - تكون رؤيا ، أي تغييراً في نظام التعبير عن هذه الأشياء". تتجاوز اللغة لدى الشاعر المعاصر المألوفَ والبديهي والتقريري في التصوير ، إلى التنافر اللفظي في اللغة ، والتوظيف الرمزي لها ، وإسناد الأفعال البشرية للأشياء ، وخرق قواعد النحو والمعجم بعبارات تؤسس لمعاني جديدة ، تترك أثراً جمالياً وانطباعاً خاصاً لدى القارئ. فهي "تمنح ذاك الوهج التعبيري الذي يسيل إيحاء وترميزاً ، ويتيح القفز والتحليق

والربط بين الصور المتباعدة condensationفوق الضفاف الحالمة" ، وتتحقق دلالاتها بتكثيف المعنى دون اعتبار للحدود الزمانية والمكانية. ولعل مظاهر تجليات شعرية اللغة ومعانيها وجماليتها ، تتحقق في مقطع عجيب للشاعر أدونيس في قصيدة "اثنا عشر قنديلاً لغرناطة" إذ يقول:

بيتٌ واحد للسماء والأرض

هنا ، بين المتوسط وسييرّانيفادا.

الجبلُ يضع يده في يد الموج

والبحرُ يتسلق نوافذ الشجر.

(...)

ضيقٌ هو الفضاء على عطر هذا التاريخ ،

ضيقٌ هو التاريخ على نكهة هذه الأرض.

اصعدْ أيها الشاعر ، إلى أبراج الأسئلة ،

اقرأْ هواء الريحان ،

ودَرّبْ شفتيكَ على خمرة المعنى.

في هذا المقطع أكسبَ الانزياحُ للمنجز النصي شعريته وخصوصيته ، إذ نلاحظ أن الشاعر تجاوز التشبيه المباشر والتعبير العادي المألوف إلى تصوير جديد ذي معان جديدة ، خلقتها مفردات متنافرة أدت المعنى بشعرية نادرة ، شخّصت عناصر الطبيعة الصماء وجسمتها ، وكأنها أناسي تتحرك وتحس كالإنسان ، فرسم صورة بديعة للفضاء الذي بين المتوسط وسييرّانيفادا: فجعل للجبل يداً وللموج يداً وكأنهما أخوان ، واعتبر البحر شخصا يتسلق الشجر ونوافذه ، وهذه اللغة تزخر بالتنافر بين عالمين ، جمعت بينهما المكونات اللغوية بإسناد أفعال إنسانية لأشياء غير إنسانية: ـ فضاء ما بين المتوسط وسييرّانيفادا يبدو فيه الجبل (وهو مرتفع من عناصر الطبيعة + جماد) يضع يده في يد الموج ، والبحر (وهو فضاء مائي من عناصر الطبيعة + جماد) يتسلق نوافذ الشجر ، ووضع اليد (فعل إنساني يقع على جماد (الجبل) ، والتسلق (فعل إنساني يقع على جماد (البحر). فتحققت بذلك شعرية اللغة بانزياح دلالي أحدث توتراً بين الألفاظ والعبارات ، وإسناد فعل الإنسان / الوضع ،التسلق ، إلى عناصر الطبيعة (وضعُ الجبل لليد في يد الموج ـ تسلّقُ البحر لنوافذ الشجر- عطرُ التاريخ – ضيْقُ التاريخ – نكهةُ الأرض – أبراجُ الأسئلة – درّبْ شفتيك – خمرةُ المعنى) ، وباستعمال اللغة استعمالاً خاصاً ، يتجاوز التعبير المباشر المألوف والتقريري. ـ الرمـز: لم يقتصر تجديد التيار المعاصر على الوزن والرؤيا والصورة الشعرية بل لامس كذلك آليات اشتغال المنجز النصي وأدواته الفنية ، وأهمها الرمز ، الذي يعتبر وسيلة لتوليد المعنى ، وتبليغ معاني اجتماعية وثقافية تجسد مواقف الشعراء ونظراتهم للكون والحياة والوجود ، يستحضرون فيه ما يتلاءم مع السياق الإبداعي الذي يخدم النص ، ويكسبه دلالات جديدة وإيحاءات جديدة تثير ذهن التلقي. يقول أدونيس في تعريفه للرمز: "فالرمز هو ، قبل كل شيء ، معنى خفي وإيحاء. إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة. إنه البرق الذي يتيح للوعي أن

يستشف عالما لا حدود له. "- والشاعر الحديث يوظف الرمز بنقله من إطاره المباشر الضيق ، وسياقه السوسيوثقافي المتعارف عليه ، إلى معنى آخر مرتبط بتجربة الشاعر ورؤيته الفكرية ، تكتسب دلالات إيحائية جديدة. ويتخذ الرمز في الشعر العربي الحديث مظاهر متعددة ينهله الشاعر من مصادر مختلفة منها: الدين ، والتاريخ ، والطبيعة ، والأدب ، والأسطورة ، واللغة ، والفن. ولنضرب لذلك مثلاً بمحمـود درويـش في قصيـدة عجيبة / ديوان "جدارية" حين يقول:

لا شيء يوجعني على باب القيامة

لا الزمان ولا العواطف. لا

أحس خفة الأشياء أو ثقل

الهواجس. لم أجد أحداً لأسأل:

أين "أيني" الآن؟ أين مدينة

الموتى وأين أنا؟.."

إن قراءتنا للجانب الدلالي لهذا المقطع لا يجب أن تتوقف عند الدلالة المعجمية السطحية للرموز الموظفة فيه فقط ، بل لابد أن تتجاوزها لتستوعب تجربة الشاعر ككل ، والسياق الذي جاءت فيه القصيدة ، ويتمثل هذا السياق في تحدي الشاعر للموت /هذا القاهر لكل موجود ، معلنا رفضه لسطوة الموت على الإنسان فوظف الرمز ليبرز رؤيته الكونية لهذا الواقع الحتمي ، فاستمد رمز (القيامة) من المعطى الديني الذي يدل على نهاية العالم الدنيوي وبداية يوم الحساب ، ليرصد استعداده للموت - وأهواله وسكراته - باعتباره بوابةً للقيامة وأولَ ما يصادف الإنسان وهو على مشارف القيامة ، فعبر عن صموده أمامه ، وعدم خوفه من هواجسه. موظفاً كذلك الرمز اللغوي المتمثل في اسم استفهام "أيني" الذي تضمن خرقاً نحوياً (بإضافة ياء المتكلم إلى اسم استفهام) ، يوحي بفداحة السؤال التي لم تؤثر في وحدة الشاعر على عتبات الموت ، وكذا الرمز المكاني / مدينة الموتى - الذي يدل على معنى المقبرة - ليرمز إلى عدم تأثره بهذا الفضاء الذي يرتبط بالموت. ويتجلى الرمز كذلك في قصيدة "أرى شبحي قادماً من بعيد" لمحمـود درويـش (وهو يعبث بالشعر ويلعب بقالبه وبحوره وقوافيه) في قوله:

"أطلُّ على اسم "أبي الطيب المتنبي"

المسافر من طبريا إلى مصر

فوق حصان النشيدْ

أطلُّ على جذع زيتونة خبأَتْ زكريا

أطلُّ على المفردات التي انقرضتْ في "لسان العرب"

أطلُّ على الفرس والروم والسومريين

واللاجئين الجدد .."

في هذا المقطع كثّف الشاعر النص برموز تنتمي لمجالات مختلفة ، فوظف الرمز الأدبي (أبي الطيب المتنبي) ، والرمز الديني (زكريا) ، والرمز اللغوي (لسان العرب) ، والرمز التاريخي (الفرس والروم والسومريين). ومن بين أهم الرموز فيما يسمى - زوراً وبهتاناً - بالشعر الحر نذكر على سبيل المثال وليس الحصر:

- آشور: مدينة عراقية قديمة كانت عاصمة للآشوريين خلال ق11 قبل الميلاد.
- المسيح: مخلص البشرية حسب العقيدة النصرانية.
- المرأة : رمز للأرض.
- الطوفان : رمز للثورة كما يمكن أن يكون رمزاً للتطهير والتجدد.
- لوركا: نجده مثلاً في قصيدة "لوركا" لمحمود درويش في قوله:"عفوَ زهر الدم يا لوركا وشمسٌ في يديك .." ، والمقصود به كارسيا لوركا ، شاعر أسباني ورسام وعازف بيانو من أدباء القرن العشرين قتل في الحرب الأهلية الأسبانية.
- طاغور: نجده مثلاً في قصيدة "أرى شبحي قادماً من بعيد" لمحمود درويش في قوله: " أطلَّ على عقْد إحدى فقيرات طاغور" ، وهو فيلسوف هندي وشاعر له شعر ومسرحيات ومقالات في الفلسفة والدين والسياسة ، تحدث في أدبه كثيراً عن الفقراء والفلاحين والبسطاء! وعموماً كان طاغور أقل سوءاً من هؤلاء.
- زرقاء اليمامة: امرأة في العصر الجاهلي ، يضرب بها المثل في حدة البصر شيّد لها قومها برجا لمراقبة الأعداء على بعد ثلاثة أيام ، لكن الأعداء ألقوا عليها القبض.
- المطر: قد يرمز للحياة والبعث والخصب كما قد يرمز للموت.
- الريح: ترمز للدمار والقوة.
- بابل: رمز تاريخي يحيل إلى حضارة بلاد الرافدين.
- سارق النار: يرمز للتضحية والخلاص والكفاح.
- أيوب: رمز ديني يرمز للصبر والتجلد ، كما كان عليه النبي أيوب عليه السلام في لحظة مرضه وسقامه.

- الأسطورة: ترتبط الأسطورة لدى الشاعر الحديث بتجربته الفنية والذاتية والجماعية ، فتنضاف إلى باقي المكونات الفنية الأخرى (اللغة الشعرية والانزياح والرمز) لتضفي على النص جمالية ودلالات فنية وتعبيرية جديدة تتجاوز حدود المعطى الأسطوري وسياقها التاريخي والاجتماعي ، لتمدّ الشاعر بأبعاد أخرى قادرة على تشكيل دلالات وإيحاءات تصور قضايا واقعه ، ومشكلاته الكبرى وهمومه وانفعالاته النفسية ، فيلتفت إلى عالم الخوارق والموروث الحضاري والسوسيوثقافي والفنطاستيكي والخرافي للأمم والشعوب العريقة ، فيتخذ الأسطورة وسيلة للتعبير الرمزي غير المباشر للواقع ، فينهل من روافد الأسطورة ، وينقلها من كونها مجرد حدث عابر ، أو تاريخ مضى ، إلى رؤية جديدة تصور الواقع الحاضر

، وتبلور مشاعره ومواقفه ورؤاه حول واقعه ، وترصد تجربته الذاتية العجيبة المفتراة بلون مغاير عما كان عليه الشعر القديم.

- ومن بين أهم هذه الأساطير العجيبة التي جنت حقاً على الشعر والشعراء نذكر:

• أسطورة الفينيق: وهو طائر جميل كالنسر ، يذهب إلى مصر في هيليوبلس / معبد رع (إله الشمس) كلما أحس بقرب أجله ، فينشئ محرقة موته بنفسه ، فيشعل النار فيها فيحترق فيها ويصير رماداً ، ثم يتكون من رماده فينيق آخر.

• أسطورة تموز: ترمز للحياة والخصب والانبعاث من جديد ، وهو إله مزعوم مفترى صرعه خنزير فقتله ، فبحثت عنه حبيبته "عشتار" فوجدته في العالم السفلي فقبّلته وأعادته إلى الحياة. وهذه من الخرافات والأباطيل والضلالات!

• أسطورة أوديسيوس: أسطورة التيه الذي يعقبه اللقاء ، تحكي قصة أوديسيوس الذي عاد من حرب طراودة ، فَضَلَّ الطريق في البحر لعشر سنين ، فانتظرته زوجته "بينيلوب" حتى عودته. وتلك خرافة تصح عند الإغريق الوثنيين • أسطورة سندباد: أسطورة التيه الذي يعقبه اللقاء ، وهو رحّالة قام بعدة رحلات لقي فيها الأهوال والمخاطر. • أسطورة بروميثيوس: أسطورة التيه والعذاب الأبدي ، تحكي معاقبة كبير الآلهة "زيوس" لبروميثيوس الذي سرق نار الحكمة من السماء ، وأهداها إلى البشر في الأرض ، ليكون فيها خلاصهم وسعادتهم ، فسلّط عليه نسراً يأكل كبده في النهار ، فَيُخلقُ مجدداً في الليل ليعذبه وهكذا دواليك ، ليعيش في عذاب أبديّ. • أسطورة سربروس: أسطورة كلب عجيب الخلقة ، له ثلاثة رؤوس مفتوحة الأفواه ، وتكسو شعره وظهره ثعابين مخيفة ، وهو يحرس مملكة الموت أو العالم السفلي. • أسطورة سبارتكوس: أسطورة الثورة والكفاح من أجل تحقيق الحقوق. • أسطورة شهريار: تحكي خيانة زوجة هذا الملك له مع عبد من خدمه ، وقتله لها ، فقرر أن يأتي كل ليلة بفتاة فيقتلها انتقاماً من النساء ، فلما جاء دور شهرزاد ، كانت تحكي له حكاية فتترك بقيتها إلى الغد ، وهكذا دواليك حتى كفّ عن قتل النساء ، بفضل شهرزاد. • أسطورة عشتار: إلهة الحب والخصب عند الأشوريين والبابليين. • أسطورة جلجامش: ملحمة سومرية تحكي رحلة البحث عن الخلود ، تتحدث عن ملك اسمه جلجامش ، يكرهه شعبه لأفعاله السيئة ، إذ يستخدم الناس ويستعبدهم لبناء سور عظيم ، فحصل على عشب سحري يعيده لمرحلة الشباب ، فقرر أن يأخذه لوطنه ، ويجربه على رجل عجوز ، لكنه في طريق عودته اغتسل في نهر ، فسرقت منه أفعى العشب ، ثم عاد صفر اليدين ، يشاهد السور الذي بناه ، ففكر بأن عملاً ضخماً كسوره هو أفضل طريق للخلود. • أسطورة سيزيف: حكمت عليه الآلهة المفتراة المزعومة بالشقاء الأبدي ، بحمل الصخور إلى أعلى الجبل ، وكلما وصل إلى الجبل أو كاد ، يهوي مرة أخرى فيسقط ، فيعيد حمل الصخور من جديد. • أسطورة أورفيوس: هو بطل أسطوري ، وهبته الآلهة مواهب موسيقية يتميز بعذوبة صوته وجمال عزفه على الآلات الموسيقية وخصوصاً القيثارة ، نزل إلى العالم السفلي حيث الأشباح والآلهة لاستعادة زوجته ، فسحرهم بجمال عزفه ، واستعاد زوجته ، لكن اشتُرط عليه أن يمضي وزوجته خلفه ولا يلتفت إلى الوراء إلا بعد الخروج من العالم السفلي ، لكنه خالف هذا الشرط فكان مصيره أن اختفت زوجته. لقد أكسب تيار تكسير البنية وتجديد الرؤيا الشعر العربي الحديث دفقاً جديداً ، في معماريته وبنيته الإيقاعية والفنية واللغوية ، فشحنه بلغة إيحائية ورموز وأساطير مفعمة بدلالات غير دلالاتها المباشرة ، تكثّفُ النص وتعطيه أبعاداً أخرى مفتوحة على تأويلات متعددة ، وقراءات مختلفة ، مما أفرز قارئا جديداً غير الذي عكف على الموروث الشعري القديم لآمادٍ ودهور طويلة ، فكان لزاماً على المتلقي الجديد أن

ينفتح على هذه التجربة الحديثة ، من خلال أبنيتها وأنساقها اللغوية والمعرفية.).هـ. جزى الله خيراً الدكتور عدنان النحوي على هذا التحليل البديع الرائع! وجزى الله خيراً الناقد الأدبي المحترم الأستاذ محمد عباس عرابي على هذا التفصيل المستفيض. وجزى الله خيراً القائمين على مجلة (الأدب الإسلامي) ونفع الله بهذه المجلة العظيمة. وأحب هنا أن أضيف مداخلة تقييمية لكل ما سبق إيراده حول تكسير النص والبنيوية وما وراء المجهول والمسرح العبثي وفكرة الآلهة المفتراة المدعاة ، كل هذا الهراء ، وكل هذا العبث سببه البعد عن الأدب العربي الأصيل والتغريد خارج السرب! سببه الترجمة عن الغرب ومحاولة محاكاته في كل شئ والانهزام أمام الغرب! إن لكل أدب أجروميته ومواده التي تتناسب مع لغته! فلماذا إقحام الأدب العربي في مزالق وعثرات الآداب العالمية؟ المهم أنني أردتُ برثائي لعيني على هذا النوع من اللاشعر ، وكان ذلك من باب المواكبة الصورية لجديد الفن ، وإن لم أومن به! تقول الأستاذة حُرّة طيبي في مقال عنوانه: (خطر الشعر العربي المعاصر على اللغة العربية) بتصرف دعت إليه الضرورة ما نصه: (يحاول بعض الشعراء وليس كل الشعراء – عن قصد أو عن غير قصد - تحطيم كل ما هو قديم متوارث ، من لغة وقيم وفن و... وليتهم يملكون – البديل. والمعروف كذلك أن الاعتزاز باللغة ليس وليد الاعتزاز بذات اللغة ، بقدر ما هو اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة ، وما الصراعات التي نشاهدها اليوم بين الدول ، وأحياناً في الدولة الواحدة التي فيها أكثر من لغة واحدة ، إلا نوع من الصراع من أجل السيطرة والسيادة ليس إلا؟ فهل يحق لأحد أن يتلف هذه الوسيلة العجيبة التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه من تقدم وازدهار ، وتواصل عبر آلاف السنين؟ في هذا التساؤل تكمن إشكالية محاولة ضرب اللغة العربية ، بطرق وأشكال مختلفة من الداخل ، بإيعاز وتدبير محكم من الخارج ، إن العرب بفطرتهم مطبوعون على حب الشعر ، لأنه يغلب على أحكامهم الوجدان بحكم بداوتهم وأميتهم ، فأكسبهم ذلك التأنق في الكلام ، وسرعة الحفظ وحضور البديهة ، فاتخذوه كما قال الجمحي "ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون" وأحلوه من الاعتبار في الغاية ، ومن الرعاية في الذروة ، وكانت القبيلة يرفعها البيت من الشعر ، أو يحط من شأنها بين القبائل)! حتى أصبح ذلك مضرباً للأمثال ، فقيل هذا "بيت القصيد". وإذن فالعرب لم يهتموا بفن من الفنون كاهتمامهم بفن الشعر ، يحفظونه ويروونه وينظمونه كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً ، فكان رفيقهم وأنيسهم في الحلّ والتّرحال ، في البؤس والشقاء ، في الحرب والسلم منذ ذلكم التاريخ إلى يومنا هذا. فكيف نسمح لأنفسنا ، بأن نرمي بكل هذا التراث الشعري الضخم ، المتراكم عبر الأجيال ، من خلال التلاعب باللغة واستهجانها والحط من قيمتها بحجة التطور والتجديد ومسايرة العصر؟ والحقيقة عكس ذلك تماماً كما هو واضح عند هؤلاء الشعراء المعاصرين أمثال) أدونيس (تكمن في ضرب اللغة العربية بهدف إضعافها ثم تقسيمها إلى لهجات محلية لقتلها والتخلص منها ، وليتهم وعوا أنهم بضربهم اللغة يضربون أنفسهم ولا يشعرون ، لأن في ذلك دعوة صريحة إلى الجهل ، بل إلى الاستهجان والاستهتار بتاريخنا وقيمنا وشخصيتنا وبكل ما نستطيع أن نفاخر به غيرنا من الأمم. واللغة العربية في ماضيها المجيد وتراثها العريق تأتي في مُقدِّمة اللغات التي نجحَتْ في القيام بدورها الحضاري الرَّفِيع ، وارتَقَتْ بأمَّة من مجتمع الصحراء المتوارِي لتكون هي ولغتها قائدة الحضارة والمعرفة على مستوى العالم قرونًا عديدة مُتوالِيَة ، ويَكفِي في هذا المقام أن نتذكَّر أنها شَرُفَتْ بحمل آخِر رِسالات السماء إلى الأرض بلسان عربي مُبِين. إنَّنا في عصر تَحرِص فيه اللغات الكبرى المُسَيطِرة على التِهام اللغات المُنافِسة لها ، أو على أقل تقدير إضعافها وتفتيتها! وأنها تلجأ في سبيل تحقيق ذلك الهدف إلى توظيف وسائل علميَّة وتعليميَّة وإعلاميَّة ، تَمَّ إعدادُها ودراستها بدِقَّة شديدة ، فيها مُغريات كثيرة ، يتَمَّ من خلالها دسُّ السمِّ بإحكام ، في آنية العسل ؛ لتكون كالطعم يَنجَذِب لها المتلقي بوعي أو بلا وعي من أبناء اللغة المستهدفة ، فيتم تحقيق الهدف المرسوم بسهولة ويسر. والقُوَى الكبرى التي تسعَى إلى تحقيق مثل هذه الأهداف ، تَعرِف أنها لا تُحارِب

فقط كلماتٍ وقواعد وتراكيب ، وتراثًا شعريًّا أو نثريًّا ، ولكنها تُحارِب ما يَرمُز إليه ذلك كله ، وتسعى إلى السَّيْطَرة على مُقَدَّرات أبناء هذه اللغة وثرواتهم ، واستقلال ذواتهم ، وصَلابة قراراتهم ؛ لكي يكونوا لقمة سائغة في خدمة عجلات الإنتاج ومَطامِع التوسُّع ، لدى أصحاب اللغات المسيطرة. من المعرف أن الشعر أياً كان موضوعه يعتمد في ما يعتمد عليه ، على عنصر الخيال لتشكيل الصور التي هي من صميم التعبير الشعري ، لأن الشعر إذا خلا من الخيال والتصوير فليس بشعر ، وإنما هو ضرب من النظم. ولكن الخيال والتصوير الذي نعنيه هاهنا ، ليس الغموض والإبهام والتضليل والوهم الذي يمتلئ به شعرنا المعاصر. والذي نحاول جاهدين أن نفقه منه شيئا في كثير من القصائد فلا نتمكن من ذلك. وإنما نعني ذلك التصوير الإيجابي الذي يعطي للمتلقي مجالاً واسعاً للتأويلات والاحتمالات ، للوصول إلى المعنى المقصود. ولأن الشعر مهما حلّق في أجواء الخيال ، واسترسل في أفانين التصوير والبيان ، فإنه منطلق من الواقع ، من الحياة ، من شعور الإنسان وعلاقاته بالآخرين ، وبالكون الذي يعيش بين أحضانه ، ولا يأتي من عدم أو ينزل على الشاعر وحياً من السماء. لذلك فقد يؤدي الكلام على الأدب ، إلى الكلام على مرجعيته ، التي ساهمت في تكوينه وبلورته وإخراجه إلى الوجود ، ملوناً بألوان وأحاسيس الشاعر الذي أبدعه ، مصبوغا بانفعالاته وعواطفه. لأن الشعر الحقيقي هو ذاك الذي تمتزج فيه ذات الشاعر بموضوعه ، فيغدو الشعر قطعة من ذات الشاعر فيها أحلامه وأمنياته ، وموقفه الذي يدعو إليه متلقيه ، وليس ذلك الواقع الجاف الذي يعرفه الناس على مسرح الحياة. وهذا الأمر لا يخص الشاعر وحده ، فحسب وإنما يخص كل فنان مبدع لفنه. إذ لكل ذي فن في الحياة أسلوبه وطريقته للتعبير عن فنه ، والإبانة عن ذات نفسه ، فالموسيقي بنغمه والمثال بنحته ، والمصوّر بريشته ، والأديب بشعره ونثره ، وقد صدق شوقي حين قال: "أساطين البيان أربعة: شاعر سار بيته ، ومصور نطق زيته ، ومثال ضحك حجره ، وموسيقي شدا وتره". ولا يغيب عن الذهن ، أن الفنان المبدع ، يخاطب في المتلقي العقل والوجدان معاً ، لإثارة انفعاله واستمالته ،إلى تقبل الفكرة أو الموقف دون تردد أو رويّة. وبما أن الحقائق والأفكار في تجدد مستمر ، لا تجف ينابيعها ، فمن الطبيعي أن تتشابه الأحداث والقضايا ، التي تشكل عناصر الشعر ومن ثمة يصبح من الطبيعي تكرار المواقف وصور التعبير عنها ، ولكن بأدوات مختلفة وبمنظار مختلف ، وبألوان غير الألوان وهكذا. وهذا أمر بديهي ، أشار إليه كثير من شعراء العصر الجاهلي ، منهم عنترة بن شداد حيث قال: هل غادر الشعراء من متردّم؟ يشير هنا إلى أن الشعراء الذين سبقوه ، لم يتركوا شيئاً يصاغ فيه شعر، إلا وقد صاغوه فيه. فالشاعر عنترة ، قد شعر بضيق من أزمة المواضيع ، التي تتيح للشاعر أن يقول فيها شعراً ، لتوصيل فكرته إلى المتلقي ، ولكن ذلك لم يثنه عن إبداع أرق الشعر وأجمل القصائد ، بلغة وأساليب من سبقوه من الشعراء ، دون أن يعلن الحرب عليهم ، أو القطيعة مع الماضي ، لا شيء سوى لأنه كان يمتلك الوسائل الكافية لقول الشعر. وما قلناه عن عنترة يمكن قوله أيضاً عن عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة الشهيرة "ألا هبي بصحنك" ، فهي مثل حيّ للتعبير الجميل واللغة الواضحة ، والصدق الفني في التعبير ، فإنها في الوقت ذاته جمعت بين المعاني وجودة السبك ، وحسن الصياغة وقضايا القبيلة ، الأمر الذي جعلها تحتل مكانة مرموقة ، في نفوس قبيلة (تغلب) ، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، حتى غدت نشيداً قومياً لهذه القبيلة ، ظلت تفاخر بها القبائل جيلاً بعد جيل. ومع ذلك كله ، فهي لا تختلف عن نظام القصيدة المعروفة في ذلك الوقت ، من الناحية المعنوية أو الفنية. وربما تجديد الشاعر فيها ، يكمن في تعبيره عن قضايا قبيلته ، من خلال منظور ذاته وبيئته وعصره ، وتلكم هي الحداثة أو المعاصرة ، وهي الأصالة في الشعر. وليست المعاصرة في الشعر ، هي أن يأتي الشاعر في شعره بأشياء مستعارة ، غريبة عن قومه ومجتمعه وعصره وبيئته ، ويزعم أنه من دعاة التجديد والمعاصرة. وليس عيباً أن يحاول الشاعر مواكبة العصر الذي يعيش فيه ، ولكن بشرط أن يكون شعره معبراً عن مجتمعه وبيئته ، منطلقا من ذاته ، لا

مستعيراً ومشحوناً برموز وطلاسم لا يفهمها حتى هو بذاته ، بل العيب كل العيب أن يظل الشاعر متقوقعاً في صومعته مغلقاً بابه على نفسه ، مكتفياً باجترار آثار القدماء ، في موضوعاتهم ومشاعرهم وبيئاتهم وأفكارهم: وهذا هو التخلف بعينه ، وهذه أهم الأسباب التي تفقد الشعر والشاعر ، قدرته على التواصل والتأثير في المتلقي. فإذا أراد الشاعر المعاصر أن يرتقي بشعره ، إلى مرتبة المعلقات العربية التي لا نزال نرددها إلى اليوم ، ولا نمل من ترددها ، فعليه أن يعود إلى هذا التراث الثري ، ويعي جيداً تلك العلاقة التي كانت تربط الشاعر بقومه وبيئته وعصره ، فضلاً عن الخصائص الفنية التي ساعدت هذا الشعر ، على البقاء والخلود عبر قرون طويلة من الزمان. وعليه أن يعي أيضاً بأن الشاعر ليس كياناً مستقلاً بذاته وإنما هو ابن بيئته ومجتمعه وعصره. فالأديب وأعماله ثمرة قوانين عملت في القديم ، وتعمل في الحاضر ، وتظل تعمل في المستقبل ، وهو يصدر عنها صدوراً حتمياً لا مفرّ منه ، إذ تشكله وتكيفه حسب مشيئتها ، وحسب ما تحمل في تضاعيفها من جبر وإلزام. وكم من شاعر أراد أن يثور ، عن الماضي ويقطع صلته به ، ولكنه سُرعان ما أحس بالفشل ، فعاد إلى حيث كان من قبل. وإذن فالشعر كان هادياً ومربياً ومعلماً ، ومعبراً عن المشاعر والمواقف ، وساعياً إلى محاربة الشرّ والخرافات ونبذ الرذائل ، وداعيا إلى مكارم الأخلاق والفضائل ، وبناء المجتمع الراقي الذي يتذوق الفن ويقدّر قيمته في بناء الحضارة ، وكل كلام يخرج عن أداء هذه الرسالة ، فهو ضرب من الوهم والهذيان ، حتى لو كان موزوناً ومقفىً. وما أكثر هذا النوع من الشعر ، في ما يسمى بالشعر المعاصر في الأدب العربي بشكل عام ، وفي الشعر الجزائري أيضاً ، فهو شعر لا علاقة له لا بالبيئة ولا بالمجتمع ولا بالعواطف الإنسانية ، ولا حتى بذات صاحبه ، بقدر ما يعبر عن الواقع الصادم للذات الشاعرة ، التي ولّت هاربة من الأصالة نحو الفوضى والاضطراب ، وعدم الرؤية الصحيحة للأشياء. أما أصحاب هذا النوع من الشعر ، فيمكن تقسيمهم إلى فريقين. أما الفريق الأول ، فيتبنى التجديد بسوء نية ، لأنه يهدف إلى تضليل الإنسان العربي ، وإفساد ذوقه ، وذوق الأمة العربية وتشويه إحساسها بالجمال ، وإضعاف اللغة العربية ، باستعمال الألفاظ الأجنبية والعامية ، أو استعمال اللفظة في معنى لا تمت له بصلة ، لا من قريب ولا من بعيد لإحداث التشويش في الفهم ، وتعقيد الكلام ، لتنفير الناس من العربية ، ويتم ذلك كله بدعوى التجديد والمعاصرة ومواكبة العصر. وأما الفريق الثاني ، فيتبنى هذه الموضة أو الموجة عن حسن نية ، ظناً منهم أنهم يمثلون عصرهم بصدق وإخلاص ، وأن كل ما يأتون به من تجديد ، في اللغة أو الصياغة أو الفكر ، فهو منتزع من روح العصر ، ويواكب الحركة الأدبية العالمية ، وكلاهما يؤدي في نهاية المطاف إلى هدم القيم العربية المتوازنة عبر الأجيال ، والتي يتميز بها العربي عن غيره من الأجناس الأخرى. وبتجريد العربي من هذه القيم الروحية والفنية ، يغدو إنساناً هجيناً ، يشبه الإنسان الآلي في سلوكاته وتصرفاته ، ومن ثمة يعجز عن تحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويبقى تابعاً في كل تصرفاته ، ومسارات حياته ، ويسهل انقياده إلى حيث يريدون اقتياده. والأمثلة من هذا الشعر كثيرة ، وكثيرة جداً ، وهكذا يمضي الشاعر المعاصر في نظمه على هذا النمط العبثي ، الذي لا يمتّ إلى فن القول بصلة ، لا هو شعر ولا هو نثر مفهوم ، وإنما هو نوع جديد من الهراء والهذيان والنعيق ، أو هو أكثر من ذلك. ولعل الهدف منه هو ملأ الساحة بالهذيان والضجيج ، حتى يزعق محبّو الشعر ، ويضجون من كثرة الخشخشة والضجيج والصياح ، فيعلنون استسلامهم ويقبلون بما هو موجود في الساحة. وما قلناه لا يشملُ الشعراء المعاصرين ، من الذين يحافظون على أصالة اللغة ، ويحترمون قوانين الشعر وقواعده ، ويقدسون قيمة الكلمة ، ويرفعون من شأن مشاعر المتلقي. وإلى جانب ذلك كله فالشاعر المعاصر، يدرك جيداً ، بأن الزيف والفساد ، قد استشرى ، وانتشر في كل مجالات الحياة اليومية ، وأن الأصالة تموت يوماً بعد يوم ، وجيلاً بعد جيل ، لأن هناك قوى ضاغطة من الزائفين والمرتزقة يخنقون كل موهبة أصيلة ، ويئدون كل عبقرية مضيئة ، عن

عمد واضح مفضوح وبكل الوسائل. وهناك أسباب عديدة ، ساهمت في انتشار هذه الموجة من الشعر المعاصر بهذا المستوى المتدني للغاية ، ويأتي على رأس هذه الأسباب: غياب النقد ، والنقد هو الذي يسوق الإبداع ويوجهه ، فإذا وجد النقد ، فإن المبدع يعرف مسبقاً ، أنه ـ سيجد أمامه على طول الطريق ، أقلاماً مشرعة ، تتناول عمله بالفحص والمناقشة والتفسير والتعليل ، مما يجعله يقرأ ألف حساب لهذا النقد قبل إخراج عمله ، وفي الوقت ذاته يجعله في حالة تحصيل دائم لمادته الإبداعية. إذ أن هذه الأقلام تكشف له في واقع الأمر ما بداخله ، من مدى صدقه في التعبير عن القضايا ، ومدى قدرته على تقديمها للمتلقي. إن النقد في الحقيقة يفعل فعل السحر في نفس المبدع ، إذ هو ينير له في داخله مناطق كانت معتمة ، لا يراها واضحة في وعيه ، فيزداد بذلك الشاعر المبدع ثراءً وعمقاً ، وبفضل هذه المتابعة النقدية الواعية ، يتم تطور الشاعر في غده بأفضل مما كان عليه في أمسه ، فلا يتوقف ولا يكرر ولا يستبدل. كما أن النقد الواعي هو الذي يستطيع أن يفرز للمتلقي حقيقة معادن المبدعين ، وبهذا لا يبقى في دنيا الإبداع الشعري إلا العمل الناجح والموهبة الحقيقية. فلا مجال للزيف وسيف النقد مصلت على الرقاب ، ولا مجال للادعاء وعين النقد صاحية. كم من أعمال نقدية أثارت الزوابع وأقامت الدنيا وأقعدتها ، وكم من معارك أدبية وفكرية شغلت الصحف والمجلات! وكم من شاعر ولد على أيدي النقاد الذين احتفلوا به وبشروا بمولده الفني! والعكس صحيح ، فالنقد ضمير المجتمع الأدبي ، وذوق الأمة. إن شعرنا المعاصر ، شعر مأزوم ، لقد أصابه العجز منذ البداية عن مواجهة المذاهب الشعرية العالمية المعاصرة ، فاستسلم لها ، ولكنه عدّ نفسه مخادعة للذات وتضليلاً لها جزءا من تلك المذاهب ، فامتلأ بالغرور ، وزها بشعور الاستعلاء ، وراح يكتب ويترجم وينقل ، عن الغرب كل ما يصادفه من إبداع شعري وينسبه إلى نفسه ، فأدى ذلك إلى قطع الصلة بين الموقف الشعري المعاصر، ومسيرة الشعر العربي في مراحل تطوره ، وقطع الصلة مع الموقف الاجتماعي ، فكان هذا الانقطاع آية التخبط والاضطراب ، بل وشاهد صدق على المآل الكئيب الذي آل إليه الشعر المعاصر ، لأن هذا الشعر لم يكن نابعاً من حاجة المجتمع ، ولم يكن نتيجة تطور طبيعي للشعر العربي ، وإنما جيء به كما هو بزيه الأجنبي. إن كثرة وسائل الإعلام المسموع والمقروء ، والسمعي البصري ، وغيرها من وسائل الإعلام الأخرى ، جعلت المتلقي حائراً إلى أين يتجه ، وماذا يختار منها. وكل هذه الوسائل تحاول أن تصل إليه بطريقة أو بأخرى ، في سباق محموم للاستيلاء على هذا المتلقي. وفي غمرة هذا الكم الهائل من الفضائيات والصحف والإنترنيت والكتب والمجلات ، ضاع المتلقي ولم يدر ماذا يفعل ، ففتح باب بيته وصار يستقبل ما يصل إليه مجاناً ، دون البحث والتمييز بين الجيّد والرديء ، بين الذي يفيد والذي لا يفيد ، بين الأصيل وغير الأصيل ، يفعل ذلك لأنه لا يدفع ثمناً مادياً لما يصل إليه ، ولكنه لا يعي بأنه يدفع ثمناً باهظاً ، يكمن في ضياع أصالته ، وكرامته وخلقه وذوقه وما إلى ذلك ، لأن هذه الوسائل ، معظمها لا يراعي الحفاظ على الوجود الصحي للمتلقي ، عقلاً ووجداناً وتذوقاً ، فإنسان العصر ضاع تحت ضغط هذا الكم الهائل ، من وسائل الإعلام المختلفة ، والتي تحيط به من كل جانب ، وتجرعه مع الحياة اليومية جرعات دائمة ، مما هو شبيه بالأدب والفن وهو ليس من الأدب والفن في شيء. ولعل ما نراه اليوم في الساحة العربية من التفرقة ، والتخاذل والضعف العام بل الانحطاط في جميع الميادين المعروفة ، هو لا شك حصاد وجماع ذلك كله).هـ. وتحت عنوان: (الشعر وموقف الإسلام منه) يقول الدكتور محمد بن سعد الدبل ما نصه بتصرف: (إن الأدب من منظور إسلامي هو أدب العقيدة الإسلامية التي تحثُّ الفرد والمجتمع على اتباع الحق ، وقول الحق ، والشهادة بالحق في كل شيء ، والأدب هو فنُّ العبارة ذات الكلمة الصادقة ، ولذا كان لزامًا على المسلم أن يَلتزم في سلوكه ومُعاملاته وأفعاله وأقواله بما هو خير ، والنقد الأدبي مِن منظور إسلامي يُعنى عناية تامَّة باستجلاء النصوص الأدبية ليضعها تحت المِجهَر النقدي فيُخرج صالحَها مِن خبثِها. ولقد لازم النُّقاد الإسلاميون إدامة النظر في العطاء الأدبي

الإسلامي حين أدركوا - عن قناعة تامة - أن الإسلام هو الكفيل بإصلاح الناس مِن خلال معتقداتهم وأخلاقهم وعطائهم الأدبي ، ومن خلال هذا المنهج في النقد الأدبي الإسلامي يتعيَّن على كل ناقد واعٍ بصير مُنصِف أن يقول: إن أول مصادر هذا الأدب هو القرآن الكريم ، ذلك الكتاب السماوي الذي غيَّر العقلية العربية ، ورفع النظر مِن الأرض إلى السماء ، وعلَّم الناس أن يَقرأوا كتاب الطبيعة في فصوله المختلفة مِن إنسان ونبات وجبال ونجوم وأرض وسماء وأن يقرأوا ما بعد الطبيعة مِن إلهٍ فوق العالَمين هو نور السموات والأرض. وبذلك كشف القرآن عن العيون غطاءها فأصبح بصرها حديدًا فنظرت إلى العالم مِن أعلى ، ورأته وحدة مُتناسِقة الأجزاء تخضَع كلها لإرادة الله - تعالى - وأعلنَ القرآن الكريم الثورة على النظرة المادية الأرضية التي كان يَنظر بها الجاهِلون وغيرهم مِن أمم الأرض ، فكانت ضربة المعول في الأصنام دعوةً إلى النظر الجديد فدوَّت كلمة "لا إله إلا الله" في جزيرة العرب مُعلنةً ضياع الوثنية وعبادة المادية ، كان هذا في القرآن وأكثر مِن هذا ، وكان لزامًا أن تتغيَّر نظرة الأدب ، وخاصة نظرة الشِّعر والشعراء ليرتفع نظر الشاعر الإسلامي ارتفاعه في عقيدته وأن يكون له جانب روحي - كجانبه المادي - يرى القرآن يدعو إلى العزة ، ليكف الشاعر عن المبالغة في المدح ، ويدعو إلى عفَّة اللسان ، ليكفَّ الشاعر ويتحرَّج عن الإقذاع في الهجاء ، ويرفع القرآن من شأن المرأة لتعظم في قصيدة الشاعر فيتسامى في الكلام عن جسدها إلى الكلام عن رُوحها أمانة وعفَّة وخُلُقًا. ولكن الشعر الإسلامي في الحقبة الزمنية من تاريخ الأدب في العصر الأموي لم يتخذ له إمامًا غير الشعر الجاهلي ؛ فقالبه قالبه ، وموضوعاته ومادته مادته ، وإن كان هناك جديد فجدة في العَرض لا في الجوهر ، في الشكل لا في المضمون ، جدة لا تتجاوَز رقَّة اللفظ بدل خشونته ، وتحوير المعنى بدل ابتكاره ، وهذا الحكم حكم ليس عامًّا ، وإنما يخصُّ الكثير مِن شعراء العصر الأموي ؛ لأن واقع ذلك العصر يشهد بوجود عدد من الشعراء انفردوا باتجاه جديد نحو العقيدة الإسلامية يُعبِّر عن شِعر الجهاد الإسلامي فيُصوِّر معارك الفتوح الإسلامية ، ويزن الفضائل الإسلامية بميزان الإسلام داعيًا إلى الفداء بكل غالٍ ونفيس داعيًا إلى كريم الأخلاق وسموِّ الروح ، وعفَّة النسيب ، وسماحة الأريحة ، وسخاء اليد ، ولنقف على كل شيء مِن هذه الخصائص في هذه المقطوعة مِن الشعر الإسلامي المعاصر الذي وَرِث الفضائل الإسلامية مِن إلهامات الشعراء في مختلف العصور الإسلامية التي اتخذت القرآن والسنة محرابًا لشِعرها وشُعورها. وبعد أن سكب الشاعر هذه العاطفة الإسلامية المتوهِّجة في هذه المعاني الإسلامية مؤنِّبًا ناصحًا لائمًا كل مسلم ، محاسبًا كان أو مسؤولاً عن المجتمع المسلم في كل أرض ، بعد أن تهدأ ثورة تجاربه الشعرية يأخذ في نفس طويل مِن الملحمَة مُعدِّدًا ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون المؤتَمنون على الإسلام ورسالة الإسلام. وتستمر أبيات الملحمة على هذا النسق بشعر يقرع جرسه الأذن ، ويملأ الفم ، ويستثير العواطف ، ويلهب الوجدان والأحاسيس تحت مقاطع مِن عناوين الملحمة ؛ كتصوير الشاعر نكبة حزيران ، ومأساة فلسطين وجهاد الفدائيين ، وبيت القصيد في هذا الشعر الإسلامي يُلهب الشاعر حماس الفدائي المسلم ليجعله - حربه وقتاله واستشهاده - في سبيل الله وله ؛ ليهبه النصر أو يهبه الشهادة في سبيله. وبعد ، فقديمًا قال النقاد: "أعذب الشعر أكذبه"؛ أي: إن الشاعر متى اعتمد في صوره الشعرية على الخيال المجنَّح الغارق في المعاني غير الحقيقية كان في إلهامه الشاعري بعيدًا عن الواقعية ، مما يفرض عليه التعمية والألغاز أحيانًا في تلمس المعنى والخروج به إلى المتلقِّي في ثوب قد يُعري مِن الصحة ، ويَنعكِس الإبداع فيه إلى صورة مشوَّهة يمجُّها الذوق ويَنفر منها العقل وترفضها الفِطرة السليمة ، وتلك المآخذ قد عري منها شعر الأستاذ حسين عرب في كثير من أبيات ملحمتِه ؛ ذلك لأنه في نزعته الإسلامية تقيَّد بالمعاني الحقيقية التي يمنحها الإسلام كل فرد ولكل مجتمع ، فانطلق الشاعر في صوره ومعانيه وأخيلَته من هدي الإسلام الذي هو معانٍ حقيقيَّة لا تَحتمِل التأويل والتخييل المُفرِط. إلى قوله: واصبروا ، وانصروا الله واشكروه ، واثبتوا ولا تُخدَعوا

بسياسات أعدائكم ، واحذروا ، وامضوا في جهادكم لله أولاً ، ثم الوطن والحقوق. ومِن خلال أفكار هذا النص الشعري للأديب حسين عرب ، ومِن خلال نظرة الإسلام وتصوُّره الشامل للحياة يُمكننا القول عن موقف الإسلام مِن الأدب بعامة ، ومِن الشعر بخاصة: إن أول ما يَحسُن ذكره في هذا المقام أن نقف على شيء مِن النُّظُم والعادات والتقاليد والأعراف التي كانت سائدةً إبان العهد الجاهلي لتَّتضح الرؤية في تحديد موقف الإسلام مِن الأدب عامة ومِن الشِّعر خاصة. وإذا كنا بصدد الكلام على موقف الإسلام مِن الأدب بعامة وموقفه من الشعر بخاصة فإن هنالك عادات ونظُمًا وتقاليد وأعرافًا وأخلاقًا درَج عليها العرب في جاهليتهم ، وجاء الإسلام فأقرَّ مِن هذا كله ما هو وثيق الصلة بتشريعاته وَفق كتاب الله وسنَّة رسوله - صلى الله عليه وسلم. فمِن العادات التي درج عليها الجاهليون: عادات في الزواج وعادات في المِهَن والصناعات ، إلى جانب التمرُّس بأخلاق إيجابيَّة وأخرى سلبيَّة. فمِن الأخلاق الحميدة: عزَّة النفس ، كرْه الذلّ ، بغْض الظلم ، الترفُّع عن أخذ الديَة ، إكرام الضيف ، حبُّ السلام ، حفظ حقوق الجار. ومن الأخلاق السيئة التي تفشَّت في المجتمع الجاهلي: لهْو الشباب ، قلخ الشيوخ ، ابتذال المرأة صغيرة وكبيرة ، مُعاقَرة الخمر ، لعب القمار ، الدعوة إلى الثأر ، تأريث العداوات. وقد خالَج هذه الأخلاقَ ألوانٌ من المحامد والفضائل ؛ كصفاء النفس ، والإيمان بالله – تعالى - وإكرام المرأة للرجل ، وإكرام الرجل للمرأة ، التأثر بالحِكم الصادقة وحب المشورة ، والحلم والأناة. وحين جاء الإسلام أقرَّ مِن هذه القيم ما يلي: حب السلام ، الشجاعة ، الإيثار ، الكرم ، صلة الرحم ، حسن الجوار ، مساعدة الفقراء ، حسن المعاشرة ، الحلم ، الصدق ، الأمانة ، الوفاء ، الرأفة بالحيوان ، التكافل الاجتماعي ، مقْت الظلم ، حقوق المرأة ، الحقوق الزوجية ، برُّ الوالدين ، ثم ختم هذه القيم الرفيعة والمثل العليا بقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وهذا يعني - بالضرورة - أن الأدب الإسلامي بمصدريه النثر والشعر قد اتخذ من هذه القيم مادته التي ينزع عنها في معالجة الأدواء التي يشكو منها الفرد والجماعة على حدٍّ سواء. وعلى الرغم مِن أن نُقَّاد الأدب قد نادوا بتأثير العقل والعاطفة والخيال على العطاء الأدبي ، فإن الإسلام في نظرته إلى الأدب قد وسَّع دائرة النظرة عند النقاد فسَمَا بالعقل ، وسما بالعاطفة ، ولم يَحجب الرؤية الأدبية مِن خلال الخيال الشاعري ، ولكنه عمل على تهذيب العواطف والارتفاع بخيال الأديب عن سفاسف الأمور ؛ حتى لا يطغى جانب العاطفة على جانب العقل ، فلكلٍّ منهما أثره وجدواه في جودة الأدب ورفعته ، وقيمه الفنية. وقد تحدث الإسلام عن المَعين الأول للأدب والقيَم الإنسانية كلها ، ذلك المعين هو (العقل) ؛ فقد جعل له الإسلام مزية تَفوق أرقام الحساب ، ودلالات اللفظ اليسير ، قبل الرجوع في تأييد هذه المزية إلى المناقشات والمذاهب التي قد تَختلِف فيها الآراء. وتلك المزية هي: التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف. ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو ضمنية إلى العقل أو إلى التمييز ، ولكنها تأتي عرضًا غير مقصودة ، وقد يلمَح فيها القارئ - أحيانًا - شيئًا مِن الزراية بالعقل أو التحذير منه ؛ لأنه منزلة العقائد ، وباب مِن أبواب الدعوى والإنكار. ولكن القرآن الكريم لا يذْكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة مقتضبة في سياق الآية ، بل تأتي في كل موضع مِن مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرَّر في كل معرض مِن معارض الأمر والنهي التي يُحثُّ فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يُلام فيها المُنكر على إهمال عقله وقَبول الحَجرِ عليه ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد مِن معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة ، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها. وتتعمَّد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته ، فلا يَنحصِر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المُدرك ، ولا في العقل الذي يُناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعمُّ الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني مِن خاصة أو وظيفة. فالعقل - في مدلول لفظه

العام ـ ملَكة يُناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع مِن المحظور والمنكور ، ومِن هنا كان اشتقاقه مِن مادة "العقل" التي يؤخذ منها العقال ، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارَد في اللغات الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها مئات الملايين مِن البشر. وهذا يعني أن الأدب فنٌّ جميل قوامه العقل والعاطفة معًا ، فلا يَحسن أن يَطغى جانب أحدهما على الآخَر ، وها هو "العقاد" يُناقش مسألة الفن الجميل من خلال المنظور الإسلامي ـ الذي العقل والعاطفة مادته ـ فيقول: إن كثرة الأنصاب والتماثيل في المعابد والصوامع والبِيَع ليست بالقياس الصحيح لنصيب الفنون الجميلة مِن الدِّين الذي يُدان به في المعبد أو البَيعة ؛ لأن المعابد الوثنية كانت تتَّسع للأنصاب والتماثيل ، وليست بالنموذج الصالح للأديان في الهداية إلى معاني الجمال والحضِّ على الفنون الجميلة ، وهي في جملتها لا تَخلو مِن العبادات البَشِعة والشعائر القبيحة ، والعقائد التي لا تَجتمِع والجَمال في شعور واحد. إنما يُقاس نصيب الفنِّ الجميل مِن الدِّين بالنظرة السوية المُعتدلة إلى الحياة ، فلا يُقال عن دينٍ إنه يُحيي الفنون الجميلة أو يتقبَّل إحياءها إذا كانت له نظرة زريَّة إلى الحياة ، وكان ينظر إليها كأنها وصمه زريَّة ، وإلى الجسد ومتاعه كأنه رجس مرذول وانحراف بالإنسان عن عالم الروح والكمال ، إن هذا ليس من الجمال في شيء. والإسلام ـ وهو يرعى حقوق الجمال والاستمتاع به ـ قد انفرد بقبول نعمة الحياة وتزكيتها والحضِّ عليها وحسبانها مِن نعمة الله التي يَحرُم على المسلم رفضها ويُؤمَر بشُكرِها ، والتفكير في آلائها: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا). (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) ، (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا) ، ثم إن الجمال بمفهومه الواسع يكون في الصورة والمشهد واللمس والذوق والتمييز بين الأشياء ، ويكون في المظهر والمخبَر ، والصوت الحسَن ، ناهيك عن ترتيل القرآن الكريم من ذي الصوت الحسن الجميل ، قد أبيح للمسلم الترتيل القرآني وطولب به ؛ (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أو انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) ، ولا أعذب ولا أجمل من صوت القرآن يَسري في الوجود مع سكون الليل).هـ. غير أنني عندما كان ذلك الحادثُ الفظيع أخذتْني رعدة الشعر وعزمتُ أنْ أرثي المقلة البائسة بكل بحور الشعر العربي: أصيلِها ومُوَلَّدها ، وقد فعلتُ وبصعوبة حتى وصلتُ للنوع المعاصر هذا ، وهو ما يُسميه الناسُ في لغتهم الأدبية بالشعر الحُر فقلتُ في نفسي: أكتبُ أرثي عيني على نمطه مع عدم اقتناعي ـ سلفًا ـ بتسميته شعرًا ، فكانت هذه القصيدة «قراءة في أوراق الماضي» ، ذلك أنني تذكرتُ الماضيَ السحيقَ الراحل. ولمْ يَشأ اللهُ أنْ تكتمل هذه القصيدة إلا بعد سنة كاملة تقريبًا. وأكرر أسفي واعتذاري للشعر العربي ، وأبْرأ مِنْ كل ما يُسمى بـ : شعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر أو الشعر المنثور أو النثر المشعور أو الشعر الحر أو حتى الشعر الحديث أو الشعر الرومانسي أو الشعر المتحرر ، كما أعتذر لقرائي الأحبة مِنْ عُشاق القيم والمبادئ والشعر العربيِّ الأصيل ، وإنْ هي إلا مُحاولة لرِثاء المُقلةِ البائسةِ فقط ، فلما رثيتها وبكيتها على البحور العربية الأصيلة ، بدا لي أن أبكيها على البحور المولدة الدخيلة أو ما يعرف بمقلوبات البحور! وأعود للصبر والتصبر والاصطبار فأقول بأن صبري مع شعري كان وسيلتيّ في المواجهة! قال الأستاذ أسامة عبد الله خياط في معرض حديثه عن الصبر والتصبّر ما نصه: (ومن رحمته سبحانه لعباده أنه لا يتابع عليهم الشدائدَ ، ولا يكرههم بكثرة النوائب ، بل يعقب (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * :ـ الشدة بالسعة والرخاء ، والابتلاء بالرحمة وسابغ النعماء ، كما قال ـ عز وجل فقد تكرر اليسر بعد العسر مرتين ، ولن يغلب عسرٌ يسرين ، وحيثما وجد العسر على إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) تنوع ألوانه واختلاف دروبه ، وجد إلى جانبه يسرٌ ينفث الكربة ويجبر القلب ، ويواسي الجراح وينسي الآلام ، ويذهب الأحزان خاصة حين يلجأ المؤمن في شدته وبلائه إلى ربه ، ويسأله أن يبدله من بعد شدته ما أصاب عبداً همٌ ولا حزنٌ :رخاءً ، ومن مجالب أحزانه وبواعث همه فرجاً ويسراً ، كما جاء في الحديث فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ في قضاؤك ، أسألك اللهم بكل اسم هو

لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآنَ ربيعَ قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي. إلا أذهب الله همه ، وأبدله مكانه أخرجه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح. فاتقوا الله -عباد الله- وحذارِ من اليأس من رَوْح الله ، "فرحا واستيقنوا بالفرج القريب العاجل من الله الرحيم الرحمن ، فما الشدائد والابتلاءات والمحن إلا خطوةٌ على الطريق إلى تحسين الأحوال ، وقفزةٌ إلى رخي العيش وبلوغ الآمال ، مع ما فيها من تمحيص وتكفير للسيئات ، ورفع للدرجات).هـ. والآن لنطالع قصيدة قراءة في أوراق الماضي! وأعتذر جداً عن الإطالة!)

يَا شَامَةَ وَجْهي ، يا أُمنِيتي ، يا جَوهرتي ،

يا آسرتي ، يا مَفْخَرتي: «يا ذي العَيْن»

أنتِ الدُّرةُ ، أنتِ الحُرةُ

أنتِ لعَلَّ وليتَ وكيف وماذا وأَينْ

أنتِ البَسْمَةُ ، أنت الأمل الدافئ في آناء الضَّـيْم

لأنكِ عَيْن

أنتِ النُّورُ ، وأَنْتِ الفَجْرُ

وأنتِ حَيَاتِي: يا ذِي العَيْن

وأنَا لفِراقِكِ مُلتاعٌ ، مَكْسُورُ الخَاطِرِ

باكِي العَين

وبكُلِ بُحُور الشعرِ بَكيْتُ

وتلظَيْتُ ، غزانِي الشَّينْ

بالبَحر الكامل ، كانَ بُكائي

وكذا بالوافر ، والمُتقارِب ، كُنتُ بَكَيتْ

وكذا بالرَّمَل بَكَيتْ ، وكذا بالهَزَج بَكَيتْ

وتَحَديْتُ بُحورَ الشعرِ ، وتَلَظَّيْتُ بوَزْنِ الجَمْرِ

وكذا عانَيْتُ بكل رَوي

وعَلا في قَلبي كلُّ دَوي

قافيةٌ تحْطِمُ قافِيَة أُخْرَى

لأعزيَ بالشعْرِ ـ جميع الشعر ـ ضِيَاءَ العَيْن

حتى بالشِّعْرِ الحُر المُوغِل في غَيَّابَةِ جُبِّ الزَّيْفِ

بَكَيْتُ العَيْن...

وكذا باللاشعر بَكَيتْ...

ما كنْتُ أفكِّر فِي هذا أَبَدًا

ما دار بخَلَدي ، لمْ يَطْرُقْ ـ يومًا ـ ذاكرتي...

أنْ أكتبَ لا شِعْرَ ، وأزعمَ أنِّي أكتُب شِعْرًا...

أنْ أمسَخَ شِعْرَ المُتنبي...

أنْ أطعَنَ بالكَلِمَات جَريرَ أو الخَنْساء...

أنْ أُوغِرَ بالألفاظ مَعِين زُهَيْرٍ وابْنِ المُقْرِي...

ولقدْ سَاءلتُ الماضيَ عنكِ مِرارًا...

فتجاهلني أولَ مَرة.... وتحداني ثانيَ مَرة....

فاستعطفتُ الماضيَ قلتُ: تمهلْ ، هذي ثالثُ مَرة...

مُذ وقعَ بعَيْن الشَّهم الحَين...

فإذا الماضي يضربُ كَفًّا فوق الكَفِّ بقسْوَة...

ويقولُ: تُسائلنِي عَنْ عينِكَ هَذي ، عَجَبًا...

مَا عِلمي؟ يا هذا قلْ لِي: ما تجربتي؟ من أعلمني؟...

أيامُ المِحنةِ وَلَّتْ تبكي... وكذا المُقلة تبكي

فاحملْ عينَك فوق جِبال الصَّمتْ...

ودع الماضيَ فِي حَيْرته...

واستقبلْ أمْرَكَ يا هذا ، وانهضْ فالأيامُ تَمُرُّ مُرورَ الطَيفْ

كُفَّ لعَلَّ ، وليت ، وأين ، وكيف....

طالعتُ الصورةَ يا عيني...

فتضايقْتُ كثيرًا جدًّا ، وتَململتُ ، وتَعَسرتْ...

وأخذتُ النفسَ بثورتها ، وأخذتُ الرُّوحَ بآهتها

وأخذتُ القلبَ بطعنته ، وبكيتُ كثيرًا ، وبكيتْ...

وطفقتُ أسائلُ أقلامي ، وكذا أرتادُ قراطيسي...

وأُحَاكِم في كل سُفور وجَلاء كُلَّ عُبوسي ، ومتاريسي...

وأُزمجرُ: أينَ حياتي يا أقوامي ، وأحاسيسي....

ثمَّ مشيتُ على آلامي ، حتى أدمتْني آلامي...

ومشيتُ كثيرًا فوق الأمل الدامي هذا ، ثمَّ مشيتْ...

جِسْرُ الأحزان وزورقُه ، والموجُ على حُزني يطفو...

وأنا المستهدفُ يا قومي...

والدمعُ إلى قلبي يهفو...

والصورةُ هذي في المرآة تُعذبُني...

تَكوي - في مَلهبة اللوعة - رُوحي...

ثمَّ تُعبئ في خَلجَاتِ النفسِ كُلَّ جُروحي...

وحَزِنْتُ على شعر الماضي المُوغِل في أعمَاقِي...

حيثُ الشمعةُ ، تتلو الشمْعَة...

لا حُزنَ على قلبي أَبَدًا...

فالقومُ - جميعًا - عُوَّادي...

فعلامَ الحزنُ؟ وفيمَ اللوعةُ؟ إني رجلٌ أحمِلُ زادي...

لو أظلمتِ الدنيا ، نُوري عندي..

والأصداءُ هنالِك خلفَ سَرابِ العُمْرِ تُنادي...

والخِلان على مَوعِدَةٍ ، وكذلك قلمُ الشِّعر يُنادي...

إنْ خذلَ الأهلُ ، فعِندي كُتُبِي...

هُم أَصحابي هُم خِلاني ، بلْ فِي ميْدانِ الحرب جِيادي...

بلْ ، واللهِ أراهُمْ أفضلَ فِي مِيزانِي مِنْ أصحابي...

عُدْتُ ـ بكل الذكرى ـ عشْرَ سِنِيْن...

فتذكَرْتُ حياتي الأولى...

وتقلدتُ يَراعي ، رُحْتُ أغني...

أُخفي كُلَّ مَرار الغُربة مِنْ قُدَّامِي

إنَّ مَرارَ الغُربة يَكْوي كُلَّ ضُلوعِي...

يُطفئ ـ رغمَ الأنفِ ـ شُموعِي...

يُعْلِنُ ـ وَسْطَ الناس ـ جَميعِ الناسِ ، خُضُوعِي...

لا يجعلُ يَدِيَ الطُولَى أبَدًا...

فتذكرتُ الشاطِئَ في قريتنا ، عِنْد هُجُومِ العَصْرِ

والشَّصُّ الضاحِكُ في يديَ اليُمنَى يَرْمُق سَمَكة...

والتوتُ المُتَدلِّي في ماء النهرِ هُنَاكَ بأرضِ العُمْدة...

ناداني ذاكَ التُّوتُ بصوتٍ عالٍ يَخْرِقُ سَمْعَ الدُّنْيَا...

هيا أقبلْ ، اقطفْ واهرب ، فالعمدةُ في قَيْلُولَةِ صَيف...

فسمعتُ كلامَ التوتِ ، وسرتُ إليهِ بِسُرْعة...

وركبتُ لتوِّي تلكَ الشَجَرَة...

ويِحي ، ذهبتْ بِسَنَا عَقْلِي الفِكْرَة...

وكسَرْتُ الفرعَ بِسُرعة ، وكذا الغصنَ بِكُلِّ القوة...

مِسْكِينٌ غُصْنُ التُّوتةِ هَذي...

أحدَثَ عِند رُكوبي ضَجَّة ، وكذا عِنْدَ الكَسْرِ الصَّامِتِ ضَجَّة...

عند نزول التُوت كذلكَ ضَجَّة...

فصَحَتْ كلُّ كِلابِ العُمْدة...

ثُمَّ انهَالتْ ـ فورًا ـ فوقَ الظَّهْرِ السَّارِق سَوْطُ العُمْدة...

وأتى عند العُمْدَة في خَيْمَتِه جسمُ العُهْدة...

وعفا العُمدةُ لكنْ بعدَ ضَياعِ الوَقت...

وتَذكَّرتُ البَسْمَةَ في أَعْمَاقِ فؤادي...

واليومَ تحشرجَ صَوتُ البَسْمَةِ في أَعْمَاقي...

يُقْبِلُ رَمَضَانُ ، وَلا أدري...

أتظَلُّ الدَّمْعَةُ في عيْني...

وأُسائل نفسي: كيفَ يمرُّ الشهرُ علينا...

وتَمزَّقَ بين ضلوعي سُؤلي ، أبكي ألَمي...

وأُخبِّئ ـ في طيَّات فؤادي ـ كلَّ ظُنوني...

وأسيرُ فلا ألقى ـ خلفي ـ غيرَ دموعي...

والدمعةُ خلفَ الدمعةِ تبكي...

حتى الجفنُ حزينٌ يبكي...

يا عينُ تعَذَّبْتُ كثيرًا ، وتسامتْ في القَلْبِ البَلْوَى

وطفقتُ أُفتِّشُ ذاكرتي

وأُسَائِلُ عَاطِفتي دَومًا ، وأُعلل نفسي بالشَّكْوى

وأُناجي في الدرب الأملا ، وأُراجع كلَّ أحاسيسي...

لَكنِّي خَنقتْني النَّجْوَى

لم أسْبُرْ أغوارَ شَقَائِي...

وتبعثَرَ فِي الظِّل المَأوى

وغَدَتْ أحلامي أخيلَةً

وخبَتْ في الأطلال نُجُومِي

وأصابتها تلكَ العَدوى

أمَّا الرُّوح فما أشقاها!

عَرْقَلَ سَيْرَ الرُّوحِ طُمُوحِي...

شجَبَتْ رُوحي القَوْسُ العَطْوَى

وطوتْها الأوضاع الشَّجْوى...

قد كُنْتُ أعيش ، ولي أملٌ...

يا عينُ تَدهْوَرَ ذاك الأمَلُ...

وأنا مُلقَىً فوقَ تِلال المِحْنَةِ أطفُو...

وَحْدِي أشْكُو...

وعلَى شَوْك سُهادي أَقْضِي عُمْري

وعلَى جَمْرِ خِيانَةِ صَحْبي أقضي عُمري...

وعلَى رَغم تحشرج قدمِي أخطُو

وعلَى صَرخة ألمي هذي ، أَصْبَحَ غَيْري يَجْنِي ثَمَرِي

وعلَى أناتِ جِراحي ، وعلَى مَرْأَىً مِنِّي يَلْهُو...

أمَّا الصَّحْبُ فخانوا عَهْدِي

وهجيرُ عمالتهم يسعى فوق جبيني ، وبِلا تقوى...

إنَّ نفاقَ صحابي يَسرقُ فجْرِي...

يَسرقُ كل الشعر المُلْقَى في ذاكِرتي...

يذبحُ عِزَّة نَفْسِي...

لا ينسى أنِّي - يومًا - كنتُ صريعَ العِزِّ...

يعتبرُ كلامي الفصلَ له هزلاً

هَلْ مثلي - يا مُتخرِّصُ - يلغو؟

آهٍ ، عَكَّر سُمُّ نفاقِك كُلَّ الجَو

وأراكَ لكل هُراءٍ تَرْنُو

وأنا بالدمعةِ أخلُو

وأُعبئ كل نحيبي في حَنْجَرةِ الوَهْمِ ، وأَدْعُو

أنْ يأخذَك الله بكل نفاقِك كي لا تزهو

ويُبددَ صوتُك في هذي الدنيا كي لا تتلو

إنَّ تلاوةَ مِثلِك تدعو الناسَ إلى الإلحَادْ

يا موتًا فوقَ جبينِ الأُمَّةِ يَجْثُو

لنْ تَسْلَمَ مِنْ ذنب المُقْلَةِ هذي أبدًا

أنت سفكتَ دِمَاءَ العَيْنِ

وماءَ العُمْرِ ونُورَ الهَدْيِ

وعِطْرَ الوَحْي وزادَ الطِّفْلِ

وحُبَّ الزوجِ وقُوتَ الأَهْلِ لتَسْمُو...

وسَمَوْتَ ، ولكنْ في بَوْتَقَة الوَحْل

وانْصَهَرَتْ كلُّ رماحِكَ في مهزلةِ الهَفْوَة
وغَرقْتَ ببحْرِ الغَبْوَة
وعلَتْ فوقَكَ ـ يا مغرورُ ـ الرَّغْوَة
وطغيتَ على الضعفاءِ كَثِيرًا
وكذا حَرَّفْتَ جَمَال الدَّعْوة...
وحُسِبْتَ ـ بكل الزيفِ المَاسِخ ـ مِنْ أعمِدَةِ الصَّحْوَة...
وزَعَمْتَ بأنَّك ـ في عالمنا ـ أُسْوَة
وأراكَ زَرَعْتَ الفَجْوَة
وذَبَحْتَ إِبَاءَ الصَفْوَةْ
وَأَتْيتَ فِعَالاً لا ترضَاهَا في الأَحلامِ ولا الأَزَماتِ النِّسْوَة...
دَمِّرْ مِينَاءَ صداقَتنا...
واغسلْ بالنار مَوَدَّتَنَا ، وأخوتنا ، وعلاقتنا...
واغرسْ أشرعةَ الوهم بنار الغُربة هذي
واذبحْ بالسكين الكاذب كل وريد عُذْري
إي واللهِ: كلَّ وريدٍ كانَ يضخُّ الدَّمَّ بقلب الكِبْرِ
وحْدَكَ تبقى كاليَربُوع أسيرَ السِّحْرِ
وانشُدْ في أوباشِكَ هذي خِلاًّ غَيْرِي...
ما عُدتُ قميصًا تلبسُه ساعةَ ترضى
ما عدتُ طعامًا تأكله ساعةَ جُوع ، يا قاتِلَنَا...
ما عدتُ شرابًا تشربُه ساعةَ عطشٍ حتى تُرْوَى...
فابحثْ عن مَرْكَبَةٍ أُخرى...
جَفِّفْ دَمْعَ الأفعى ، واصدقْ نفسَك

قبلَ مُناشدة الغير التقوى ، ناشدْ قلبَك...

لا تلبسْ ـ يا هذا ـ لُبسَة غيرِك...

ليسَ يُناسِبُ هذا المِعْطَفُ قدَّك...

ليسَ يُناسِبُ أبدًا دَوْرَك...

صدقني ، ليسَ يُناسِبُ حتى شكلك...

صَنَمُكَ هذا مُوسى يومًا سيُحطِّمُه ، سيدمرُه ، سيحرِّقُهُ...

خُذ غَليونًا وقَلنسُوَةَ ليُناسبكَ الدور...

واصعدْ خشبةَ مَسْرحِ مَنْ أَلَّهت...

خفِّف وطأكَ فوق أديمِ الأرضِ

أنتَ هَتَكْتَ العِرضْ ، وصَعَقْتَ دِمَاءَ الفَرض

وسفكتَ هَزيم الوَمض

وقتَلتَ هَتيفَ الفيض

حَرَّمْتَ علَيْنَا الغَمض

ربي يَحْرِمُكَ الحَوض!

وأجدتَ فُنونَ الحَرْبِ ، وحِيَلَ البَأس...

وبذرتَ على دَربي ودُروب الناسِ الرِّجْس

وزعمتَ لنفسِكَ أنك فوق النَّقد

أتحوَّلَ قلبُك صخرًا عَبْرَ الدَّرس؟!

سَاعَة قِيلَ لَكَ: الزمْ أدبَكَ ، كُنْ مُحْتَرَمًا

عُدْتَ إليْنا ، وبلاَ خَجَل تبكي مثْل الأُنثَى...

ورأيتُكَ مهزومَ النفسِ تُعَانِي...

ونصحتُك ساعتَها ، لكنْ لمْ تَسْمَعْ مِنْ كلماتي حَرْفًا...

آهٍ مِنْ أفعالِكَ هَذي ، إنَّكَ قد أحدثتَ الجَرْفَا...
ولويْتَ ذراعَ الحرفِ ، فخلَّفَ حَرْفَا...
آهٍ ، قدْ حطَّمَكَ الفِلس
مِسْكِينٌ فِي عَقْلِكَ فِعْلاً ، أينَ العِلْمُ الجَمُّ تَوَلَّى؟
كيفَ نَسِيتَ بكل العَمْدِ ظَلامَ الرَّمس؟...
حتى كانتْ مِحْنَةُ عيني...
أدركتَ بأنَّك قد أذنَبت...
طاوعني: خَبِّئ حُزنَكَ في جُمْجُمَةِ اليَأس!...
وأنا سوفَ أسيرُ بدربي وَحْدِي...
وأُواجه كلَّ رِيَاح الحَيْرَةِ وَحْدِي...
وسأصنعُ فجرَ الأمل الدامع وحدي...
وسأكشفُ كل نِفاق الصَّحب ، أيْضًا وَحْدِي...
وحْدِي سأحَطِّم كلَّ رِمَاح الغدر
وحدي سَوفَ أُذيقُكَ نارَ الحسرةِ بالأشعار
وتموتُ كما ماتَ أبو لهب كمَدًا...
وسأمحو زَيْفَكَ مِنْ أفئدِة النَّاس
فوراءك قلمي يا ابنَ سلول ، والدَّهْرُ طَوِيل

والصُّمتُ القاتلُ يذبحُ بَأسِي...
ويُعرقلُ في أعماقي هَمْسِي...
ويُسربلُ ـ في طيات المحنة ـ نفسي ...
وأسائلُ: كيف يسُود ضبابُ الزَّيف؟

وأحاربُ كلَّ خُيوطِ الطِّيف...

وأعزِّي عيني رغمَ سَرابِ الخَوف...

وأجففُ دمَها عبرَ جحيم الحَيف...

وأمُدُّ يَدِي مغتربًا ، مِثْلَ قُدوم الضَّيف...

وَأسَائِلُ: يَا عَيْني ، مَاذا حَلَّ ، وكيف؟

وَالحادثُ هذا فَجَّرَ عَبْر الليلِ الألمَا...

وَلَّدَ ـ فِي إحْسَاسِي ـ السَّأمَا...

أوجَدَ في وجهي السَّقَمَا...

حَوَّل إنسانِي صَنَمَا...

صَعَّدَ ـ عَبرَ الليلِ ـ الحُمَمَا...

أحدَثَ في الدرب الخَطبَ العَمَمَا...

حَطَّمَ في أجْواءِ الشِّعْر القَلَمَا...

أشمتَ فِيَّ اليومَ الغَنَما...

والعينُ تُعبِّئُ في جَعْبَتِهَا قَيْحَ ظُنونِي...

تَتَشَاءَمُ إنْ أبْكاني بعْضُ حَنِينِي...

وتُسائِلُنِي: أيْنَ يَقيني؟

وثباتي أينَ ، وأينَ سُكوني؟

ولماذا لمْ أمْحَقْ كُلَّ شُجُوني؟

وأجيبُ على عيني وَجِلاً:

صبرًا يا عينُ فهذا قَدَري...

ورجعْتُ بذاكرتي ، أبْكي كُلَّ شُئُونِي.....

وَشَردتُ بذهني خَلْفَ سَراب البَحر...

وعلمتُ بأنَّ العينَ تهاوتْ تحتَ رِماح القَهر...
والدمعُ الهادرُ ليسَ يُعيدُ لعيْني البِشْر....
والموجةُ بعدَ المَوجة تُغرقُ كل أريج الشِّعر...
والمِحنةُ تِلْوَ المحنة تَسْحَقُ في الأعماقِ الصَّبر...
والفرحةُ ماتتْ في أشلاءِ الهَجر...
والبسمةُ وئدتْ تحتَ سِنان الكيد هنالِكَ في أنقاضَ الغَدر...
والعينُ دمٌ ودموعٌ في طياتِ الليل...
والشعرُ يُزمجرُ إنْ عاتبني الوَيل...
حتى أغرقني السَّيل....
ودخلتُ الظُلمةَ وَحْدي
مَيْدَانُ صِراعٍ كانتْ ، وأنا فيها وَحْدي...
قد كنتُ الأعزلَ فِيهَا جَبْرًا ، وَبِلا خَيل...
قدْ كُنْتُ الأولَ في قَومي...
واليومَ على رغم الأنف مَكاني الذَّيل...
وأكِيلُ لقومي خيرًا قَدْرَ هواءِ الكَون...
يا ليتَ القومَ - اليومَ - يَكيلونَ بذاتِ الكَيل...
كلاَّ ، بلْ مالوا عنْ صَفي وتجاريبي كلَّ المَيل...
نالوا مِنِّي كُلَّ النَّيل...

قَلَّبْتُ الذاكرةَ الثَّكْلَى...
وَفجَّرْتُ العاطفةَ الخجْلَى...
وَطعَنْتُ المهزلةَ العَجْلى...

وفحَصْتُ يَواقِيتَ الأمل بقوُة...
وحَقنْتُ دمَ الأحداث ودمعَ الهُوَّة...
وعلى آلامي أمسَى غيري يشربُ قَهْوَة...
ويُضخِّم فِي أخطائي ، ولهُ قَسْوَة....
وعَلِمْتُ بأنَّ لكلِ جَوادٍ كَبْوَة...
وكذا العالِمُ ـ رغمَ وُجودِ العِلم ـ تُراودُه الهَفْوَة...
وخلوتُ بنفسي ـ بعضَ الوقت ـ وحيدًا...
فوجدتُ فؤادي يَعشقُ ظِل الخَلْوَة...
فقرأتُ سُطورًا تُغْري في أوراقِ الخَلْوَة....

وتَذَكَّرْتُ حياتي الأُولى...
في كُتَّاب القرْيَة ، كنتُ أُحِبُ الذكرَ كثيرًا...
أتلو ، أتعلمُ ، وأرتل ، كانَ العُمْرُ قريرًا...
وكذا قلبي كانَ قريرًا...
والقرآنُ العذبُ المُغدِقُ كانَ سَمِيرًا...
والدربُ المُوْصِلُ للآمال العَذبة كانَ يسيرًا...
والجسمُ الناحلُ في أجواء الغُربة كان صَغِيرًا...
«وابنُ بشيرٍ ، وابنُ العِتْرِ ، وهادي
وابنُ الخَضْر ، وخامسُهم كانَ فُؤادي»
كانوا كُلَّ حَياتي ، كلَّ صِحابي ، كُلَّ عَتادي...
والعَريفُ الطيبُ كانَ رشارًا فوقَ رشادِ...
كنتُ أذوبُ إذا نظرتْ عينَاه إليَّا...

وله صوتٌ يملأ كل الناس دَوِيًّا...

وإذا عاتبَ يومًا طِفْلاً كَان حَفِيًّا...

لا يَلْطِمُ وجهًا أبدًا...

لا يشْتِمُ أُمًّا أبدًا...

لا يلْعنُ دهرًا أبدًا...

لا يتضايقُ مِنْ نِسْياني للآياتِ ، وَرَبِّي...

بل كان يُرَكِّز: كيفَ خروجُ الحرفِ بغيرِ لُحُون...

ويركِّز كيف نرتلُ آيَ اللهِ بغير لحون...

والعَرَقُ اللافحُ يَطوي كلَّ شُجون...

وله كل نهاية شهْرٍ بعضُ قروش...

مسكينٌ يا عَرِّيفَ القرْيَة...

مَنْ يَمحقُ باسم المَولى هذي الفِرْيَة...

وأبي يدفعُ هذا المالَ ، ويمضي...

ويقولُ العريفُ الصابر: «ربي أكرمْ»

وتقولُ الدمعةُ في عيني: «أنا فِي مرية»

يا عريفَ القرية: خُذها عَشْرَ دراهمَ مَعْدُودات...

بيع كتابُ الله ببعضِ قُروش...

ودعائي أنْ يحفظك المَوْلى...

هي خيرٌ في الميزان لكم مِن أي عُروش...

والعِربيدون السِّكيرون لهم في المَصْرِفُ كلُّ المَال...

ولكم أتعَسُ حَال...

والواحدُ منكم لا يجدُ القُوت...

والعِربيدون لهم في الناس كُروش ، أي كُروش...
حاشاك العَربدةُ عريفي ، أنت شَريف
وأراكَ بما يحوي صَدرُك هذا عَفًّا...
فاقت عِفتُك العِفَة...
بل فاقتْ في عِزَّتها كُلَّ عَفِيف....
قلبُك مِنْ كل الأحقاد نَظِيف...
لا تحْزنْ ، أنتَ تُعلِّمُ نَشْأً ذِكْرَ الله...
لا تَغْضَبْ إنْ فاتكَ ـ في هذا الدربِ ـ الجَاه...
لا تُكثر مِنْ نَصَب العَمَلِ الآه...
دعْ قطعانَ البَشَر ، مَهَاةً تنطحُ شَاه...
وإذا اغتابكَ منهم غِرٌّ ، فاملأ باسْتِرْجَاعِكَ فَاه...
إنَّ كتابَ الله بصدركَ ، يكفي هذا ، إي وَالله...
وسَيجزيكَ الله الحُسْنَى ، خيرُ جزاءٍ تتلقَّاه....
لن يُحزيك الله المولى ، إي والله
كنت الأكرم ، عشت الأسمى! ووليا يعبد مولاه

وأَعُودُ لعيني أَذكرُ وضعًا يُحْزِنُ يُزْري...
حيثُ الجُرحُ النَّازفُ عُمْري...
فأعزيها ، والكلماتُ ثكالى مِثْلُ الجَمْرِ....
فأعودُ بذاكرتي أقرأ في صَفَحاتِ العُمْر ...
أتذكرُ بَقَّالَ القرْيَة....في «كَفْرِ سُليمان البَحَري»
«عباسٌ» يبذلُ كلَّ الخَيْرِ...

ويُريدُ مُقابلَ هذا عند رحيل الشَهْرِ...

وأنا تُرسلُني أُمِّي ، آخذُ مِنْ عباسٍ مَطلوباتِ اليَوم...

وعلى رغم عُبوسِ الإسْم يَبَشُّ بِوجهي...

مِعْطَاءٌ يا عباسُ ، ورجلٌ فوقَ الوَصف....

ورقيقٌ تَبذلُ للأطفال العَطف...

وأعودُ لأُمِّي أحملُ ما أعطاني فَورًا...

وأعودُ لعباسٍ مِنْ خَلفِ الأُمِّ سَرِيعًا...

آخُذُ حَلْوَى ...

لكنِّي لم تأمرْني بالحَلوَى أمي هذي المَرَّة...

ويُصَدِّقُ عباسُ الدَّعْوَى...

آكل ما أعطاني عباسُ وأمضي...

وإذا رحل الشهر تعالى خطْبِي

قد كنتُ أُعبِّئُ كل الماضي فِي ذاكرتي...

أَتَذكَّرُ أنِّي كنتُ أرى بعُيوني هذي دربي...

وأرى الأفكارَ العذبةَ تعدو صَوْبي...

وأرى حُبِّي...

لكنِّي كُنْتُ صَغيرًا ، لا أَدري حَجْمَ الذَّنْبِ...

أحْبَبْتُ القريةَ حُبًّا جَمًّا...

فهُنالكَ كانتْ كُل حياتي الأُولى...

وهنالك كانتْ أُمي وأبي جَنْبي...

والناسُ جميعًا صحْبي...

والفرحةُ ـ كلُّ الفرحة ـ تسكنُ قلبي...
والعيشُ يُرفرفُ عذْبًا مِثْلَ الشَّهد...
ولهُ عطرٌ رطبٌ رَخْوٌ مِثل الوَرْد...
الفترةُ هَذي لا أنسَاهَا أبَدًا...
إنَّ المَاضِيَ هذا يَسْعَى فوقَ سَمَاءِ المَجْدِ...
كانَ العُمْرُ يُزَمْجِرُ مثل الرَعْدِ...
ويُسافرُ في دُنيا الناس ، ويَقْطَعُ كُلَّ البُعْدِ...
وأطالعُ في أوراق المَاضي بعضَ الحُرْقَة...
قلتُ أعيشُ على هامِشِها ، أصْبرُ حتى أدخلَ قَبْرِي...
قَدْ كُنْتُ أُصَاحِبُ بَعْضَ الرفْقَة...
غَشتْهَا بَعْضُ الزُّرْقَة...
حيثُ أحالتْ بيني والأصحابِ الفُرْقَة...
فمشيتُ بعيدًا عنهم ، كانتْ أصْعَبَ شُقَّة...
ودموعُ فِراقِ الصَّحْبِ تزيدُ الخَفْقَة...
والقلبُ تناءتْ عنه العَزْمَة...
وطوتْهُ الظُّلْمَة...
فتناثَر في أرجاء المحْنَة ، مِثْلَ النَّسْمَة...
لم يتحملْ بأسَ الهَجْمَة...
ليتَ القلبَ تماسكَ بعضَ الوقتِ
ليَعْبُرَ هذي الأزمَة...

وطفقتُ أُداعبُ كل خُيوطِ نُجومِ المَاضِي...

يا هذا الحاضرُ ، هلْ جرَّبْتَ دَلالَ النَّجْمَة...

تَبدو هذي النجمةُ في الآفاق

تُجَمِّلُ كل سَراب الغَيْمَة...

آهٍ ، قد حَرَقَ نفاقُ الصحب قماشَ الخَيْمَة...

والنجْمَةُ تَسألُ في الآفاق طُيورًا قد أزتَّها الهِمَّة...

تسْتَصْرِخُ: أينَ الأُمَّة؟؟

أينَ صَلاحُ الدِّين؟ وأينَ النَّخوة؟ أَيْنَ الذِّمَّة؟

بل أينَ رجالُ صلاح الدِّين جَمِيعًا؟

مَنْ يَغْسِلُ عَارَ الصَّدْمَة؟

«حِطِّينُ» تَناءتْ في كَوكَبةِ الظُّلْمَة...

وطوتْها في الدرب سَحائِبُ ضخمَة...

ومحتْها مِنْ عالمنا فعْلاً...

محقتْها ـ رغمَ الأنفِ ـ طُلُولُ العَتْمَة...

أصحابُ صلاح الدين تناءَوْا ، يا للوَصْمَة...

وانتُهِكتْ في أرض الدار الحُرْمَة...

آهٍ كيف المَهْربُ مِنْ مأزقنا هذا؟ قُولوا...

قولوا: كيف نصيرُ رجالاً؟

كيف نُرَجِّعُ مِنْ ظُلمات الليل الأخرسِ هذا هَدْيًا وَلَّى؟

أو كيف نهُزُّ الأرض بدَمِنا ، بجماجمنا ، وكتائبنا؟

نُرْجِعُ أرضًا سُلبتْ مِنَّا ، نرجع مجدًا وَلَّى ومَضَى...

أنا عندي الحَلُّ ، وربِّ العَرْشِ ، وليسَ سِواه...

الهِنْدِيُّ الصارمُ يمحو هذه الغُمَّة...

هذا السيفُ محاها أولَ مَرة ، وكذا يمحوها ثانِي مَرة...
للدَّوْر الألفِ أقولُ: السيفُ القاصلُ يمحو الغُمة...
وسيُسعد كل فؤادٍ كان يتوقُ إلى الحُرِّيَة...
وسيشفي صُدورَ القوْم العُزلِ في بَيْداءِ الاسْتِضْعَافْ
وسيمحقُ كُلَّ إسافْ ، وسيُهلِك من أعداء المَوْلَى بالآلاف...
وسيُذهب غيظ قلوبٍ تتمنى ذَبْحَ الإرجَاف...
ويُعذِّب ربُّ الناس بأيدي الحق مَنِ استَعلى...
لكن ، أينَ رجالٌ تحملُ هذا الصارمَ؟ قولوا: أين؟
قولُوا: كيفَ بُلوغُ القِمَّة؟
لا ألقاكُم ـ بعد نذيري هذا ـ مَوتَى...
وَدَعُوكُمْ مِنْ أعذارٍ تَبْدُو ضَخْمَة...
ودَعُوكم مِنْ كلماتٍ خَجْلَى....
مُتجردةٍ تبدو فَخْمَة
لا ألقاكم ـ بعد وَعيدي هذا ـ هَلْكَى...
ودَعُوكم مِنْ قولتِكم: «هذي قِسْمَة»
إنَّ مَعِين الحَقِّ يُنادي:
فيخاطبُكم: هذي بئسَ التُّهْمَة...
لا ألقاكم ـ بعد كلامي هذا ـ صَرْعَى...
ودعوكم يا أقوامي مِنْ أغلال اللُّقْمَة...
مَكْفولٌ هذا القوتُ ، وربِّ الكَعْبَة...
ويُطاردُ صاحبهُ القوتُ ، ولو في البُرج العالي...
والبيتُ له ربٌّ يحميه ، تخلُّوا عَنْ خيْبتكم هَذي...

والمبدأُ منتصرٌ حتْمًا ، رغم أُنوفِ نِفاقِ القوم...
أغلالُ اللقمَة ليْسَتْ عُذرًا...
لن تنفعَكُم هذي الكلمةُ أبَدًا...
فذروها في قاموسِ الخَذْلِ تُسلِّي مَنْ صَاغُوهَا...
وتُرفِّهُ مَنْ عبدوها ، وكذاكَ تُسَامِرُ مَنْ جعلوها عُذرًا...
يا أغلالَ اللقمة كُفِّي ، قد بددتِ القِيَمَ العُليَا...
وكذلك يا أقوامُ دعوكم مِنْ أغلال اللقمَة...

قد كنتم ـ يومًا ـ جيلاً يضربُ في أسماعِ الدُنيا المَثَلا...
كنتم جيلاً يَغلبُ مَنْ عاداهُ ، ويزهو...
كنتم جيلاً لا ينتصرُ عليه عدوٌّ أبَدًا...
لا يعبدُ لاتًا أو عُزَّى...
وكذلكَ لا يَعْبُدُ شِعْرَى ...
وإذا افتخرَ عبيدُ الشِّعْرى...
أسمعَهُم بالصوتِ الهادر صوتَ الوحْي ونُورَ التقوى...
وأحال الدنيا أذنًا تسمعُ منه «السَّجْدة» بل و«البَقَرةَ»
و«الأعراف» كذلك ثمَّ «الشُّعَرَا»
ماتَ الجيلُ الشَّهْمُ المَرْجُو...
ودَّعَ هذي الدنيا مُنْذُ قُرونٍ مَرَّتْ تَتْرَى...
ذاك الجيلُ العالي الهِمَّة...
جِيلٌ كانتْ تستهويه الحِكْمَة...
يتسامَى فِي أفلاكِ الرَّحْمَة...

يَرْعَى - واللهِ - حُقوقَ النَّاسِ جميعًا...
ويُحقق آمال الدنيا وِفقَ شريعة ربِّ الناس...
يَرْعَى - رغمَ سَعِير الحالِ - الحُرْمَة...
يَزْرَعُ في آفاق الكَوْن البَسْمَة...
وله رغمَ ظلام الليل ، وظُلمِ الناسِ ، وقصفِ الرعدِ
وبأسِ الكيدِ العَزْمَة...
لا يلهثُ خلفَ سَراب الدُّنيا...
ليستْ تَستعبده هِمَمُ الأرض السُّفْلى...
ليس يُفَرِّغُ كل الطاقة في مَطْعُومِ البَطْن
لا يسعى خلَف الرِّمَّة...
لا يطمعُ مِنْ هذي الدنيا فِي شَيء أبَدًا...
لا يطمعُ في أموالٍ تَفْنَى...
أو أغنامٍ تُرْعىَ...
أو أبناءٍ ليس لديهم مِنْ آياتِ اللهِ نَصِيب...
حتى ليسَ لديهم حِكْمَة...
لا يَطمعُ مِنْ هذي الدنيا في جَرْعَةِ ماءٍ أو قَضْمَة...
بلْ يَطمعُ في مَرضَاةِ اللهِ ، ونِعْمَ الهِمَّة

أَتذكرُ مِنْ صَفَحَاتِ المَاضي صَفْحَةَ أُمِّي...
وأنا بينَ يديها مِثلُ الزَّهْرة...
طِفلٌ قد داهَمَهُ المَرَضُ ، وعَانَى...
واحْتَارَ أطبَّاءُ الأرض وقالُوا:

لنْ يَحْيَا هذا الطفلُ كثيرًا...

فاحفُر يا لَحَّادُ الحُفْرَة...

وَارِ السَوْأةَ ، لا تأخذْكَ العَبْرَة...

إنَّ الطِّبَّ عَلِيلٌ هذي المَرَّة...

قالتْ أمِّي: حَاول يا دكتورُ ، ودَوِّنْ بعضَ القَطْرَة...

هذا طفلي الأوحدُ ، صَدِّقْ ، وأنا قبلُ أعاني حَسْرَة...

فأنا ـ قبل رَحيلِ غُلامي ـ ثَكْلَى...

مَا بَالُك إنْ فارق طفلي هذي الدنيا؟

قَدِّرْ يا دكتورُ شُعُورِي ، وارحَمْ ضعفي ، فأنا لَـهْفَى...

وأراكَ بعِلمِكَ هذا ، في مَشْفاكَ الحُلوةِ هذي

أستاذًا للطبِّ ، وعَلَمًا مِنْ أعلام الخَيْر ، وصاحبَ خِبْرَة...

قدِّر ما أَطلبُهُ مِنكَ ، فإنَّ فؤادي قد حَرَقَتْهُ الجَمْرَة...

ودُموعِي كَثُرَتْ فوقَ شِراع الأمل المُعْتِم هذا...

وسرابُ الدمع يُحَرِّقُ زورقَ سَفري...

ذبحتْ قلبي يا أستاذَ الطبِّ العَبْرَة...

خنقتْني الثَّوْرَة...

لو كان الأمرُ إلىَّ لجَفَّتْ بئرُ صِرَاعِي...

ولَـمَا أحنيْتُ لشبح الجَزَعِ ذِراعِي...

ولَـمَا أحرقْتُ يَرَاعِي...

ولَـمَا مَزَّقْتُ شِرَاعِي...

ولنالتْ مِنِّي الدنيا كُلَّ الطبِّ ومَا لَمْ تَعْلَم...

ولكانَ العلم النابعُ مَنِّي أوديةَ شُعَاعٍ

تَضْربُ يا أستاذ الطب هنالكَ في أوديةِ شُعَاع...
لكنِّي أَمَةٌ عَزْلَى ، ليستْ تملك شيئًا يُذكر...
والأمرُ جميعًا يا دكتورَ الطب لربِّي الأكبر...
أكبرُ مِنْ كل الكَون ، وكل الناس ، وكل الدنيا...
لا يُشبهُه أحدٌ أبدًا ، لا يشبهه شيءٌ أبدًا...
وعلى العرشِ اللهُ المُوْلَى...
خلق الناسَ ، وخلق الدنيا...
فلهُ الخلقُ ، وله الأمْرُ
وأبو طفلي خَلْفَ الباب يُنادي
وأنا امْرأةٌ قد سَبقتْني - دون العِلم - الضَّرَّة...
وأخيرًا ، لك تقديري ، وتحياتي...
لكنَّ طبيبَ المَشْفَى قد أخذتْهُ الثَّورة...
واندفع يُجَرِّعُ أمِّي وأبي
كلَّ الأمل الكامن في أعطافِ القَلب...
ويُزمجرُ: ليسَ لديَّ الحِيلةُ صِدقًا...
خانتْ حالة هذا الطفل خزينة طِبِّي...
لا أعرفُ عنْ حالتِه شيئًا...
كيفَ أُحرِّرُ عنه كلامًا؟ قُولُوا...
كيف أُحررُ عن حالتِهِ تلكَ النَّشْرَة...
وأضافَ بِصَوْتٍ هادِي النَّبْرَة:
لَنْ يبقى هذا الطفلُ بهذي الدنيا فَتْرَة...
فتحجَّرَ قلبُ الأمِّ ، وأصبحَ مِثلَ الصَّخْرة...

وأضافت أمي: يا دكتورُ تمهَّلْ ، أعدِ النَّظْرَة...

وأضاف أبي: قَدَرُ الله المَوْلى أحْلَى

مِنْ كلماتِكَ هذي المُرَّة

سوف نُفَتِّشُ في أعماق الأرض نُريدُ الطِّب

وسنلتمِسُ العِلم هنا وهناك

فاطمسْ مِنْ كُرَّاسِكَ هذي الفكرَة...

واهدأ نفسًا ، واَمْحُ السَّوْرة...

إنِّي رجُلٌ ، فِلْذةُ كبدي بينَ يديكَ ضَحِيَّة...

وأُقَدِرُ تعبَك يا دكتورُ كثيرًا

وكذا أحترمُ الطبَّ ، وأشهدُ أنَّ العلم مُحِقٌّ جدًّا

لكن فوقَ الطبِّ ، وفوق العلم ، وفوق الدنيا والأكوانِ

وفوقَ الأرض وفوقَ سماءِ الكون وفوق العرش الرب...

أنا لستُ أقول بأنَّ الله المولى ، في كُلِّ مَكانْ

لكنْ أقصد أنَّ الله يُقدر أجلَ المرء

إنْ عاشَ ابني ، فلأنَّ الله المَوْلى قَدَّرَ هذَا

وكذا إنْ مَاتَ فربُّ الناس مُقَدِّرُ هذا

فارفعْ يا دكتور القلمَا...

جففْ يا متعدٍ هذي الصُحُفَا

نزِّهْ نفسَكَ وامحقْ هذا الزَيْفَا

واقبلْ أشواقِي وتحياتِي اللهفَى ....

يا عَيْني المَاثِلَةَ أمامي ، في آبار الحُمْرَة...

حُمْرَةُ دَمٍ ، حُمْرَةُ دَمْعٍ ، يَا وَيْحَ الحُمْرَة...

مَرَضِي الأولُ أعيا طِبَّ الأرض

أعيا حتى كُل رجال العِلم...

أعيا مَرَضِي مَنْ يَعْتقدُ الصَّلب...

مَنْ عبدوا غيْرَ الله المَوْلَى...

كُلَّ طبيبٍ أو شَمَّاسٍ قد فَتَلَتْهُ الشُّهْرَة...

أعياهُم وتَجَاربَهُم مَرَضِي هَذا...

وعَقَاقيرُ الطِّبِّ جَمِيعًا فَشَلَتْ....

وكذا أدويَةُ الطبِّ جميعًا عَجَزتْ...

وعِلاجَاتُ الجَدِّ الأكبَر...

والمِسْتِكَةُ كذا والعَنْبَر...

والرَّدَّةُ ، والعُشْبُ البَرِّي...

وتَعَاويذُ السِّفر الأول....

وتَرانيمٌ فِي مأتمهَا...

وأغاني الإصحاح الأوحَد...

وكذا وَصَفَاتُ الحَاخَام الأعظَمْ...

وتهَاوتْ كلُّ أساطين الطِّبِّ ، وفشَلَتْ....

سقطتْ كلُّ دعاوي الوَهْم الماثل مِثْلَ هَتِيفِ الغَيث

أعيا كلَّ الناس بلا استثناءٍ مَرَضِي...

واليوم تعاني من آلام الحادث عيني

ويُريدُ الطبُّ علاج المقلة ، لكن تأبى

ويُعيدُ الجِسْمُ الكَرَّة...

والعَيْنُ اليُسرى - في الآلام - تعيش السَّهْرَة...

يَا عينُ كفاني حُزنًا ، قلبي ذابَ ، وذابتْ رُوحي...

ويحَ العين ، أليسَ تُحِبُّ «الأوكيوفينَ» دواء؟

ما أعتى هذي القطْرَة...

أإذا مَرِضَ الناس تَدَاوُوا؟

وأنا في الآهاتِ أجُرُّ العَثْرَة؟

أيعيش الغير العُمْرَ سَعِيدًا ،

وأنا في سَكراتِ الحَسْرَة؟

أيمُوتُ الصَّوتُ على شَفَتِي؟

وأنا وحْدِي تَحْتَ سِيَاطِ القَطْرَة؟

وأنا أيضًا تحْتَ عذاب العُسْرَة؟

لله الأمْرُ ، أيَا عَيْني...

وكفانِي في أشجاني مُكْثًا

وكفانِي في ظُلماتي حَيْرَة...

أَتذكَّرُ كلَّ الماضي ، أسألُ كل شكاة: مَاذا العِلَّة؟

وأسَطِّرُ كلَّ حُروفي الخَجْلَى فِي أوراقِي...

وَأعبِّئُ حُزْني في أعماق السَّلَّة....

في سلة أحزاني كمْ ، مِنْ أوراقٍ كَلْمَى تَلْهُو!...

رغم دِماءٍ تنزفُ مِنْهَا تلهُو!...

ثُمَّ تهبُّ سريعًا تعدو...

تَصرخُ في طابور الحَمْقَى....
تَسألُ: أين الصحبُ تناءوْا؟ أينَ الثُّلَّة؟
كيفَ الصاحبُ خانَ العَهْدَ ، وخانَ القِبْلَة؟
يا هذي الأوراقُ كفاكِ صُرَاخًا...
إنَّ رفاقَكِ باتُوا سَيْفًا
يذبحُ نُورَ الحَقِّ ، ويَشْرَبُ دَمْعَ الطِّفْلَة...
غدروا ، لعبُوا بالإسْلام ، وسَلَبُوا...
أكلوا - بالآياتِ - وشَرِبُوا...
أَخَذوا بالترتيل ونَهَبُوا...
باتَ شِعَارُ التقوى عُمْلَة...
والخيرُ صريعٌ فوق نفاق القومِ الحَمْقَى...
ليس هنالكَ مِنْ خِلانٍ أو أصحَاب...
وكذا ليسَ هنالك خُلَّة....
ذهبت رِيحُ الحق بِدار نفاق الصَّحب...
عُبدَ اللاتُ ، وعُبد إسَافُ وهُبلُ...
وكذا يَعبوبُ ونائلةٌ...
وَمَنَاةُ الثالثةُ الأخْرَى...
عُبدَ العُزى الأكبرُ ، رَغمَ أنوفِ رجالِ الحَق...
عَضَلَتْ بالإنسان الثُّقلة...
وطغَتْ «عَبْلَة»
صرنا في أدمغة شعوب العالم مُثْلَة...
أخذتْنا عن آيات كتاب الله الغفلة...

وأضعنا في الدرب هُويتَنَا ، وأضعنا كلَّ شهامتنا ،
وأضعنا كلَّ مروءتنا ، وأضعنا نورَ خلافتِنا ،
وأضعنا الأرضَ وكلَّ الأمَّة ، يومَ أضعْنا المِلَّة...
باتَ البَاطِلُ حقًّاً ، صِرْنَا للأعداءِ الكَلأَ...

أراني بكيتُكِ بالدمِ والدمع يا مقلتي ، كم بذلتُ الكثيرْ...
ذرفتُ الدموع أعزي فؤادي بما نالني مِن أسى
مع الحزن قدمتُ دمعَ الإباء القريرْ...
أعزي بدمعي مصيرًا مريرًا محا أمتي...
على «البوسنة» انساب دمعُ الضمير الكسيرْ...
وأغرق «بُورما» التي تستجيرْ...
وأغرق طوفانُ دمعيَ «كشميرَ» حتى انتهى
حَزِنْتُ كثيرًا على المُبعدين مِن المسلمينْ...
هنالك ضاعوا بـ «مرج الزهورْ»...
و«موستارُ» يقلقني جُرحُها...

وليست تُعَدُّ دموعي على (الوطن اليَعربي الكبير)!
وقد أحرقته سهامُ الفتن
يُفتش عن دربه في الظلام فلا يهتدي
ويلبس بُرْنُسَ أهل الصليب لكي يُكرموه
ويغسل بالذل وجهَ الكرامة ثم يَخُورْ
ويُرضي اليهودَ ومَن نسبوا للمليكِ الولدْ!

ويكْرم أهلَ الخنا والزنا ، وأهلَ الغواية مَن أفسدوا

وأهلَ التهتكِ مَن شوهوا كل حسن بدا

وأهلَ الفنون من الهازلينَ ، من الراقصينَ دعاةِ الفُجور!

ويقتلُ أهلَ الهداية أهلَ السماحة مَن آمنوا

ومَن رفضوا الذل لم يرضخوا

ومَن للهلافيت لم يَركَنوا

ومَن أخلصوا دينهم في الورى للعلي القديرْ!

فلم يعبدوا غيره أبدًا

ولم يُجْرموا ، ولم يُشْركوا ، ولم يُفسدوا!

ولكنهم تبعوا المصطفى

وساروا على نهجه المستنيرْ

أراني بكيتُ على إرث هذا النبيِّ

وقد أصبح اليومَ بين الأنام كمثلِ الغريبْ!

بكيتُ الشريعة في جُل شعري الكئيبِ الحزينْ!

وسجلتُ دمعي شعورًا وشعرًا بعزمٍ جهيرْ

وغيري يُسَخر أشعاره للخنا!

يُسطرها لتكون وقودًا لأهل الغِنا

ليَحرقَ في الناس ما عندهم مِن بقايا الحيا

ويرفعَ شأنَ المُكاء الحقيرْ!

ويعلو الهُراءُ ، ويسمو الضلالُ ، ويحيا الصفيرْ

لأن المشاعر أمست تُباع لأهل الفنون

وأمستْ سبيلاً لتدمير أهل الهُدى

وأمستْ تُـهيِّئُ مَن يجتبيها لنار السعيرْ

كذلك أمست تُباع وتُشرى بسوق العبيد جميعُ الذممْ

ومَن يجهل الحق يكدح في هذه السوق حتى يبيعْ!

---------- ----------

ويُنصَب فوق العبيد الجياعِ المَزادْ

ويأتي الجميعُ لكي يأكلوا

وبعد الطعام سيشربُ كل الأنام مياهَ الغديرْ

ويدخل نارَ الطواغيت مَن لا يبيعْ

يُصب عليه العذابُ الشديدْ

ويُحرم مِن كل خير رفيع

وتنظر في الأفق لستَ ترى

سوى جَوْقة يَقرعون الطبولْ

وبعضَ العبيد بأيديهمُ البوق كي ينفخوا

وبعض الأصاغر في ذلةٍ يحرقون البخور

ومَن كان ينكح أمًّا له بعد موتِ أبيهِ

يقولُ له اليَوْمَ: أنتَ أبي!

وأنت الملاكُ ، وأنتَ المَلاذُ ، وأنتَ الحِمى ، بل وأنت المُجيرْ!

وأنتَ بأخذ مكان أبي عند أمي جديرْ

وليتكَ جئتَ مِن الأمس كي نستريحْ

ألا إنَّ ذلك هزلُ العبيدْ

وقولٌ عن الزيف لم يختلفْ

وزورٌ دنيءٌ خسيسٌ خطيرْ

ولو قال شعبٌ لفرعونَ: «لا»

وقدَّم بعد الكلام الفِعالْ

وقدَّم في الحرب بعض الرجالْ

وقدَّم عند النزال الدماءَ ، وبعضَ الحياة

يمينًا لعاد إلى رشده ، وأدركَ بأسَ صنيع الإباءْ

ولـمَّـا يُصرح «أنا ربكم» ، وليس على الأرض لي من نظيرْ

ولـمَّـا يقلْ: «ما علمت لكم من إلهْ»

فليس لكم أن تقولوا: سِوايَ الإلهْ

ومَن خالفَ الأمر يلقَ جزاهْ

أطاع الجميعُ ، ولم يُنكروا

ومن قال: لا ، ذاق أعتى مصيرْ

وساد الدهاقنُ مِن يومها

وذاق العبيدُ سُمومَ الطغاة

لأن العبيد يُحبون أي حياة

أطاعوا لأن التزلفَ للظُّلم سَمْتُ العبيدْ

ولا يرتضي الجَوْرَ والقهر إلا الذليلُ الحقيرْ

وقالوا لنا: «نحن مستضعفون»

ولم نقْوَ بعدُ على حربهِ

وليس لدينا الرجالاتُ حتى يكون النفيرْ

وليس لدينا العتادُ المكافئُ للمجرمينْ

وإن لقاء الدهاقين أمرٌ علينا عسيرْ

وحربٌ ضروس ستُودي بنا
ولن ترحمَ اليومَ فينا النساءْ ، ولن ترحمَ اليوم حتى الصغيرْ
فهوِّن عليكَ ، وكن مُنصفًا
وزيِّنْ كلامكَ بالمنطق العدل ، لا تنفعلْ
وأعطِ اليراعةَ بعض الشهيق وبعضَ الزفيرْ
ودعنا نحللُ أمرَ الخروجِ على مَن طغى
ومَن قال: إني إلهٌ لكم
وإني أنا الرب ليس سواي
فقلتُ: تريدون أن تُفحمونا
بأنَّ الخروجَ عليه ابتداعٌ مُبيرْ
وأن الإطاعة رغم الأنوف له واجبة
أقول: خسئتُم ، وردي عليك يسيرٌ يسيرْ
لأني أسائل ما فَرْعَنَه؟ وما ألَّـهَه؟
ولا أسمعُ اليوم منكم جوابًا يثيرُ الهممْ
أسائل: أين زئيرُ الرجال؟ وأين الشعوب؟
وأينَ الحنيفةُ يومَ انجمعتُم لديه ضُحَىً؟
ونادى عليكم: أنا ربكم ، وإني الإله
وزاد: سأهدي جميعَ الأنام سبيلَ الرشادْ
وأسأل: أين الجوابُ الجهير؟
وأينَ الرجالُ ترد عليه ، تقول بأنكَ لستَ الإلهْ؟
ولكن ربَّ السماوات والأرض ربُّ الجميعْ
له الخلق والأمر معبودُنا ، وليسَ سواهْ

تبارك ربُّ الوجود الإلهُ القديرْ
وما دمتَ تزعمُ أنك فينا إلهٌ كفرت
وكنتَ على الله أنتَ الجريء ، وكنتَ على النار أنت الجَسورْ!
ولكنكم قد ركعتُم له ، وصفقتُمُ للضلالِ المُبينْ
وغركُمُ بالمليكِ الغَرورْ
رضيتُم بما قد رآه لكم ، سبيلَ الرشادِ كما يَدَّعي
وضاعت على الدرب آمالُكم
كأنَّ الديارَ على فِسقها
أقامت ، ولم تكُ يومًا تثورْ
وما كان «يُوسُفُ» فيها العزيز
وما كان شرعُ الإله بداري يَسودْ
يمينًا يضيعُ بِذلِّ العبيد القرارْ
ويُفلتُ ممن يحب الرشادَ الإباءْ
وتغدو الكرامةُ في الصدر نارًا تفورْ
ويسعى الأُباةُ لإنقاذ مَن آمنوا
ولكنَّ بأس القيود عنيفٌ عَتِيُّ المِراسْ
ويَسعد في الدار مَن عربدوا

وينتحرُ الأملُ المستطاب!
لأن العبيد لدكِّ الحصون ، وقَطع الرقاب ، وسَفْكِ الدماءِ ،
وسبْي النساء ، وقتْل البريء ، وحرْق الضحايا ، وهتْك العهودِ ،
وتدميرِ دنيا اليتامى تسيرُ تسيرْ!

وتبكي الديارُ لأن العبيد لأعدائهم أسلموها
وتشكو الشريعةُ مَن لسواد عُيون العِدا بدّلوها
وتشكو الخلافةُ كل الدهاقين مَن زيفوها
وتشكو العقيدة مَن شيدوا الأضرحة
ومَن في الديار أقاموا الضلال مَقام الشريعة
ومَن حاربوا في الأنام الهُدى
ومَن عاملوا الخلْقَ فيها كمثل الحَميرْ!
وتشكو المحاريبُ مَن أعرضوا
ومَن تركوها فلم يَعمَرُوهَا
ويشكو الكتابُ لربِّ السماء الذين طَغَوا
ولم يقرأوا فيهِ باسم المليك
ولم يَدْرسوه لمرضاة رب عفو غفور
ويشكو البريء مِن الناس ظُلمَ المُسيء
ويُمعن في الظلم مَن أجرموا
وليس يتوبُ مِن الذنب مَن أذنبوا
ويخترعُ الجائرُ المستبدُّ السببْ
ليُخربَ بيتَ التقي الفقيرْ
يُقدِّمه لقمة للعظيم الوزيرْ
وبعدَ المؤامرة المُفتراة يقول: «كَفى»
ويُعلن توْبًا من الذنب ، لكنه لا يتوبْ
لأن الضمير طواهُ العَمى ، وأمسى المُعربدُ لا يستشيرْ

طُعِنْتُ أيا مُقلتي في الصديقُ
وعانيتُ يا عينُ غدر الرفيقْ ، وأحنى إبائي تخلي الشقيقْ
فلم ألقَ حتى سراب الرحم ، ولم ألقَ حتى بُخار الإخاءْ
يُحاربني اليوم بعضُ دمي ، ويَحرق قلبي الشقيقُ الغَدورْ
يُحاسبني أنني مُسْلم ، ويَضرب في الأرض ضربَ البعيرْ
ويَعْتَدُّ بالمال دون حَيا
ولستَ شقيقي كما تدعي ، لأن شقيقي التقيُّ البصيرْ
شقيقي الذي يعرف الحق ، يحيا لهُ ، يُضحّي لهُ ، يموتُ لهُ
شقيقي الذي لا يخاف العِدا
شقيقي الذي درهمي درهمُهْ ، ودينارُه في يميني إذا رُمْتُهُ
شقيقي الذي عِلمُه بالعقيدة نورٌ لهُ
شقيقي الذي إنْ بُليتُ أتاني كمثل النسيمْ
شقيقي الذي يبتغي رفعتي بين كل الورى
وخيبتَ ظني ، وما كنتَ قط كما قد ذكرتْ
فأنتَ على الغير ظل ظليل ، ولكن عليَّ كمثل الحَرورْ
وتزعم أن الذي بيننا يزولُ يزولُ كأنْ لم يكنْ
تريد الذي ما حلمتُ به ، وتُنْشِدُ بيتًا بأقصى النجومْ
لأن الدعيَّ بأحوال قلبيَ ليس الخبيرْ
ألا فالتمسْ في الخزايا شقيقًا سوايْ
ولا يخدعنَّكَ صمتي الطويلُ ، فإني حيالكَ في الله كلي غضبْ!
ولستُ أراني حقودًا عليكَ ، ودنياكَ ليست بقلبي الشكورْ
لأني أتوق إلى جنة الخُلد عند الجليلْ

طعامي هناك وشربي إذنْ ، ومثلُك أعلافُه مِن شعيرْ

ولا أقبلُ اليومَ منكَ التزلفَ إني كريمْ

ومرحى بكَ اليومَ إما أخًا مسْلمًا ، وإما شقيقًا يُراعي الرحمْ

ولا مرحبًا بالدعيِّ الأثيمْ

ومَن هو للمجرمين الظهيرْ

لأن الجبانَ الخذولَ مَعيبٌ ، يَبيعُ الشقيقَ ، يَخون العشيرْ

فلا تفتكرْ لحْظة بالإخاء الوشيكْ

فأمُّكَ ما ولدتْني لمثلكَ يا أفعوانُ إذا جُعتَ بَعضَ فَطِيرْ

وزدْ في الدراهيم حتى تزورَ القُبورْ

فلا خيرَ فيكَ ، لأنْكَ لم تستفد مِن كلام البشيرِ النذيرْ

لفظتُكَ بين الأنام سرابًا يزولْ

وبعدُ أعودُ إلى مقلتي

أغَيِّرُ بَحْري وترنيمتي ، وأنساكَ أنتَ نَسِيتَ الوِصالْ!

مُقلتي الحزينةُ الكئيبةُ المقالْ

تَعلَّمِي الثباتَ مِن مواقفِ الرجالْ

وكفكفي لذوعةَ الجدالْ

وذكّري الفؤاد بالمآلْ

وفتنة الصراطِ والسؤالْ

وأغلقي بَوابة النقاشِ عن مساجدِ الضِّرارْ

وجَوْقةِ الفرارْ

وصولةِ الدهاقن الكِبارْ

وذلة الشعوب تحت أرجُل الكِفَارْ

وضيعةِ الصِّغارْ

ودولةِ الفرعون في حضيضِ الانحدارْ

فأسدلي يا مُقلتي الستارْ

على الخوارج الذين لم يَضُمُّهم قرارْ

وأجملي الكلامَ عن شواعر البلاط ، لأننا نعيشُ يا حبيبتي

في آخر الزمانْ ، نعم نعيشُ في أتونِ الانحطاط!

فهؤلاء فوق هامة الضلالْ

يَكتبْنَ شعرَهن بالمَضا والانضباط!

وبَسمةُ الخليع للخليلة المناط!

والكل في رباط!

شماعةُ الحجَّاج فَلَّهَا التعللُ المَقيتْ!

مسكينُ يا (سعيدُ) مِن مَنارة رُمِيتْ!

وبعد فترة وجيزة نُسيتْ!

ولو أطعتَ مَن طغى بَقِيتْ!

ولو رضختَ للضلال ما ابتُلِيتْ!

وما حُرمتَ عنده المَبيتْ!

ولا الطعامَ ، كلا ، ولا الشرابْ

لأنه والحالُ هذه كريمْ

وأنتَ منه قد كُفيتْ!

خسئتَ يا (حَجّاجُ) مِن هَبِيتْ!

يا مَن تُقَطع الرقابَ دون خوفِ القارعة!

وتأخذُ البريء بالمُسئْ!

وعندكَ الجنودُ سيفُهم في الفتنة الوَكِيتْ!

يَا ويلَهم ومثلِهم من ربنا المُقِيتْ!

يا مُقلتي رأيْتُ في زماننا الكثيرْ

رأيتُ حَرْبةً في جَبهة الصغيرْ

رأيتُ كيفَ يُحْرق الجنينْ!

وكيف تَسْفِكُ الدماءَ في الدُّنا أصابعُ الغجرْ

وكيف يَدَّعون بعدها بأنهم حمائمُ السلامْ

وكيف يَسرقُ المبشرون فرحةَ المُوَحِّد الفقيرْ

وكيف يَنسجُ الزُّيوفَ والفسادَ في الورى مُستشرِقٌ حقيرْ

وكيف يَقمع الهُدى منافقٌ في كفره يَسِيرْ

وكيف ذِمةٌ تُباع في متاهة الهجيرْ

ويوأدُ المسكينُ والحنيفُ والأسيرْ

وكيف يَدفنُ التلمودُ جُبَّةَ التقيِّ المُستجيرْ

وقد علا في أرضه الزئيرْ

وأهله يَستصرخون جَوْقة الحَمِيرْ

مِن الذين يُشركون بالإلهْ

مِن الذين يَعبدون غيرَ ربنا القديرْ

مِن الذين يَزعمون أنهم مُلوك الآخرة

وسادةُ الورى ، وساسةُ الأمم

مِن الذين يَزعمون أنهم على هُدى المَسيحْ
ويبرأ المسيحُ ممن أشركوا
كذاك موسى مِنَ الكِفار قد بَرِئْ!
والأنبياءُ كلهم تبرأوا مِن الذين أشركوا
بالواحدِ الكبيرْ!

يا مقلتي رأيتُ في زماننا الفنونَ بالورى تمورْ
تُروِّجُ الفسادَ في الدنا ، وعُصبةُ الرشادِ تستجيرْ
والعُهر كم أضل مِن فتاة تستحي ، وكم أضلَّ مِن غلامْ!
والرقصُ في زماننا وفيرْ
وكأسُه تدورْ
تحطمُ الرشادَ والجمالَ والهُدى
وتقتلُ الضميرْ
في خِدرها كانت تعيشُ كل غادةٍ بعِزِّها
واليوم في الورى تبيعُ عِرضها القريرْ
بالدرهم الحقيرْ
وسوأةٌ تكشفتْ أمام أعين النساء والرجالْ
وبِيعَ للمُريد حُسنها الجهيرْ
وفوق هامة الجمال مشهدٌ عطيرْ
وأصبح الخنا وظيفة تُرادُ في زماننا المَريرْ
والبوسنويةُ انتهى من الوجود صوتُها
وودعتْ قبل الوفاة طفلَها ، وزوجَها ، وعِرضَها!

وزايلتْ كرامةً تأصلتْ!
وأسلمتْ ضميرَها لموتها
والمُسْلمات فوقهن صُبَّتِ المِحنْ
ومَن يوحد المليك في زماننا مُهانْ
وفي الديار تعزفُ القِيانْ
وتضربُ الدفوفَ خلف ظل الصولجانْ
ويُمسكُ السياطَ مَن يبيعُ دينَهُ
ومَن يُعبِّئ الكُؤوسْ!
مِن الذين إن قَضَوْا على الذي عليه لا ، لنْ يدخلوا لجِنانْ
لأنهم يؤلهون غيرَ ربنا!
حياتُهم بأسرها على الضلالِ أُسستْ
قلوبُهم مَنزوعةُ الحنانْ
وغِلظة الطباع ديدنُ الجبانْ
وجفوةُ النفوس والفسوق فوق هامة الظلوم مَعْلَمَانْ
ومسرحُ الحياة للقرود والذئاب والعبيد مِهْرَجانْ
والسادة الكِبارُ غارقون في الخمور والطبولْ
يلفُّهم في ثوبه الدخانْ
هم يُفصحون عن مُرادهم لمَن يُريدْ
فعندهم في كل مجلسٍ وحانةٍ كلامْ
وقولُهم في غاية البيانْ
ودونهم فوق الأرائكِ البغيضة الحِسانْ
ويُنْشِد العبيدُ في مزابل اللئامْ

أنشودةَ التزلف الرخيصْ
وتَقرعُ الأصابعُ الدفوفْ
أيدي غُواتنا لا تعرف السِّنانْ
لكنها لـمَن طغى تُعبئ الدِّنانْ
وفي براعةٍ وخفةٍ تُزخرف الكِعابَ للذئابْ
وتُسدلُ الستارَ عن تطلع العبيدْ
لكل مجرم في ليلةٍ خمريةٍ ثمانْ
وأُعلنت نِخاسة الحَريم والعِيالْ
في غابةٍ للحُر في أصقاعها الدمارْ
وللعفيفةِ التقيةِ الهَوانْ

مزابل التاريخ كم فيها من العُتاة
مِن الذين بدلوا شريعة الإلهْ
وحرفوا كلامه وهديه بلا حياءْ
وحاربوا كتابه وهديه بلا مِرَاءْ
وقاتلوا عباده ومَن له أطاعْ
حقًّا هم الجُناة ، ومَن سواهُمُ نراهُمُ الجُناة؟
مِن الذين سلموا الديارَ للكِفار بالوعود!
وأخلفوا بجهلهم هذه الوعود!
وبعدها خانوا الشعوبَ عامدين والعُهود!
ودمروا ببأسهم كتائبَ التقاة
وأفسدوا البقاعَ والنفوسَ بالفنونْ

وأحرقوا شموسَ عزنا المَهيبْ

وأصبحوا على الحنيفة العَلِيّة الطغاة

ولم يُراعُوا حُرمةً لمؤمن ضعيفْ

كلا ، ولـمَّـا يرحموا كآبةَ الصغيرْ

فشوهوا طلاوة الحياة

وسَمموا الغِذاءَ والغِطاءَ والكِساءَ والدواءْ

ولوثوا ـ يا ويلهم ـ حلاوة المياهْ

وذبَّحوا شعوبهم كأنها شياهْ

وسائلي يا مقلتي ـ عمّا جنوه ـ دُورَنا وقَومَنا!

وسائلي بُيوتنا والبَرَّ والفلاة

وصدقي جواب كل هؤلاء أنهم بُغَاة

وأنهم عند انتصار الحق يلبَسُون لُبْسَةَ الهُداة

وأنهم قُمامةٌ يَفوحُ مِن خلالها الأذى

وأنهم لِمَن يبيعُ دينه رفاقْ

وأنهم على المُوحدين نارْ

وعندما تكلموا ترهلتْ قواعدُ النُّحاة

لأنهم يا مُقلتي قوالبٌ مُترجمة

وخيبةٌ على الأنام ألقيتْ

ولا احترامَ عندهم لسُمعة الدعاة

طعامُهم لحومُ مَن يُوحد المليك

ويشربون مِن دماء مَن يُتابع النبي

ويرفعون أهلَ وحدة الوجودْ

وعندهم في الاعتزال نبرةٌ علتْ
وإن بدتْ لصالح الصليب معركة
كانوا بها مِن أشجع الرُّماة
رماهُمُ المليكُ بالعَمى
وصيَّر العزيزُ دُورهم ومالَهم وأرضهَم غنيمةً لمن هَداهُ باردة
ودمّر القَويُّ كيدَهم ، وكيدَ مَن وراءهم سعى!
وحطمَ المُعِز كل قوة بها يُدمّرون عزة الذي لربه أنابْ

مُقْلَتي الحبيبةُ النديةُ الجمالْ
تُحرّق الدموعُ وجنتي ، لأنني مسربلٌ مُكبلٌ حزينْ
ويقتل العذابُ خاطري في مَفرق الطريقْ
إما نظرتُ في اليمين راعني القلقْ
وإن نظرتُ في الشمال هالني تنطعُ الرفاقْ
وفي زماننا على الأشاوشِ العِظام ، تجرأ العِيالْ
مِن الذين لا رشادَ عندهم ولا ضميرْ
مِن الذين يشربون همة الشهيدْ
مِن الذين يسحقون كل بسمةٍ تُراودُ اليتيمْ
مِن الذين يأكلون طينة الوبالْ
ويَمْحقون كل عزمة تُرصِّع الجبينْ
ويَشتهون أن يُلوثوا البريءْ
ويَنبشون قبر (صاحب الجمالْ)
ويَصرفون عن كلامه في الأرض كلها العبيدْ

لكي تجهَّزَ الديارُ والنفوسُ والقِفارُ للكِفارْ
لكي يَروقَ للعَتي أنْ يُنوّع الفساد ، ويُتْخِمَ البلادَ بالعَتاد
لكي يكافئ المنافقون جَوْقة الفنون ، مِن الذين عُهرهم نما
لكي تكون طُعمةُ الصغير حفنةً يسفها مِن أخبث الرمالْ
يلوثون سُمعة الشهيد ، لم يخافُوا الآخرة
ويكسرون عظْمه علانية
وينسلون لحمه والجيدَ بالمُدى ، ويسلخون جلدَه بلا حياءْ!
ويفقأون عينَهُ ، يُحصلون قُوْتَهم كما ادعَوْا
ويَجْدعون أنفه لكي تكون حِلْية رخيصة لعاهرة
ويُتْرعون صدره بظلمهم والغش والخبالْ
ويملأون جوفه بالاحتيالْ
ويحملون للعدا رُفاتَهُ مدفوعةَ الحسابْ
لأنهم يا مقلتي مَعَاولُ النظامْ ، وجَوْقَةٌ تُعَبِّئُ السمومَ في الكُتبْ
منافقون يرفعون راية الرياءْ
و(ابن السَّلول) سيدٌ لديهمُ مُهابْ
وخلفه بين الجموع يُطفئ السنا (مُسيلمة)
وعنده (سجاحُ) تنسجُ الضلال ، وتنفخُ الجحيمَ فوق طلعة الهلالْ
و(الشهمُ) في غياهب السُّجون ثابتُ اليقينْ
يستنصرُ المليكَ ، لا يخافُ مَن طغى
ولا يموتُ ـ إن دعا موحدٌ إلهَه ـ الأملُ
ولا تضيع عند ربنا أجورُ مَن عَمِل
ولا يُخيِّبُ المليكُ مَن دعاهُ مخلصًا

وعندما (أُمية) افترى ، دعا الجليلَ ضارعًا مستنصرًا (بِلالْ)

وربنا استجابَ للمُوحد المشردِ المعذب الأسيرْ

وأرسل (الصِّدِّيقَ) رحمةً يفوحُ مِن دُجى الهلاك عطرُها الجميلْ

والطاهرُ البريء «طيبٌ» تلوكُه الذئابْ

يُخمِّشون في وحشية جراحَه ليشربوا الدماءْ

لم يَعْلموا مِن الكتاب آيةً تُوحد المليكْ

لم يفقهوا مِن الحديث رُوحَه مِن نبعه الأصيلْ

حتى إذا تكلموا اعتراهُمُ العَثَارُ والهُزالْ

لم يَعْرِفوا الحرامَ - ويحَهم - مِن الحلالْ

وبالشِّمَال يأكلون قُوتَ مَن غفا مِن القطيعْ

وبالشمال يشربون مَاء مَن علا نحيبُه المُريعْ

وبالشمال يَسْفكونَ عِزة العباقرة

كأنهم - يا ويحهم - على الذين أسلموا أكاسرة

كذاك هم تعودوا أن يَذْبحوا بعلمهم مروءةَ الرجالْ

لم يُدْركوا حقوق أهل المعرفة ، مِن الذين أدَّبوا الطغاة

والعلمُ في مجلَّداتهم له شَذًى يَفوحْ

فهؤلاء لم يُدَلِّسوا لصالح العُتاة

ولم ينافقوا لنيْل درهمٍ زهيدْ ، أو مركبٍ فريدْ!

لأنهم يا قومنا عِبادُ ذي الجلالْ

لم يأكلوا على حساب دينهم ، لم ينهبوا نَضَارةَ الهُدى

لم يشربوا دموعَ مَن يؤزُّهُ هجيرُ الانفعالْ

لم يعبأوا بما يزخرفُ الرعاةُ مِن صُنوف الاحتفالْ

ولم يُضللوا بما ارتأوه جيْلنَا المضيعَ الحقوقْ
ولم يُتوِّهوا يا مقلتي العَوامْ ، ولم يُلمِّعوا بالزيف غُرَّةَ المَقالْ
صاغوا الهدايةَ التي مِن السماء أُنزلتْ ، بإذن ربنا المليكْ
على الرسول المصطفى نَبيِّهِ الأمينْ
وأخلصوا ولاءهم للواحد القديرْ
وكان مِن لوازم السرور عندهم شهادةٌ عزيزةٌ يَسوقُها القَدَرْ
يزفها رضا الإله عن عباده بساحة القتالْ
تحمَّلوا العذابَ في سبيل ذلك الهدف ، وصاحبوا الشَّظَفْ
وشُرِّدوا وجُوِّعوا وزُلْزلوا ، وفي الجحيم أُهبطوا
وهذه (الأهواءُ) لا تُسْعِفُكُم ، ولا اعتبارَ (بالمساوئ) التي مِن خلفها النِّصالْ
ونسألُ الإلهَ أنْ يُعِيْنَنَا على التُّقى لأننا مُعذبونَ نشتكي
يا رب جُدْ على الدعاة بالهنا
ومُتعةِ الحياة في جِوار مَن أناب
ولذةِ الطعام والشراب في رطوبة الرخاءْ
وبَهجةِ النعيم في جوار مَن تشوقه القِيَم
ونخوةِ الإباء في نضارة النضالْ
وعزةِ المَضاء في التشامخ الجهيرْ
لأنهم يُبلِّغُون دعوة المليكِ مِن شروق شمسه إلى الزوالْ
و(صاحب الجمال) بينهم يقود جمعَهم في المَوكب الكبيرْ
مُعطرَ الجبين في يمينه يَراعةٌ تذودْ
وفي يساره دَوَاتُهُ ، والحِبرُ مِن دمهْ
وفي النُّهى إرهاصةُ العطاء تنفعلْ

وفي الفؤاد هِمّة تضاءلتْ بسَفحها الجبالْ

وفي الضمير عَزمةٌ يفوحُ مِن عبيرها الأريجْ

وفي ترفِّع العظيم (طيب) تعففٌ بديعْ

وفي إبائه تعاظمٌ حماه عن تذلل العبيدْ

والنيل مِن شموخه مُحَالْ

لأنه فوق اليراع يحملُ الصعودَ للعُلا ، ويَرفعُ القرآنَ عاليا

وفوق رأسه دماؤه يبيعُها ، يريدُ جنة الكريم ربنا

يَبيعُ روحه رخيصةً ، كذا يبيعُ نفسَهُ ، والمُشتري هُوَ الرحيمْ

و(صاحب الجمال) بعد جولةٍ وجولةٍ وجولةٍ شهيد!

يُودِّعُ الحياة والعَناءَ والشقاءَ والعذابَ والفَنَا

بإذن ربه سيدخل الجنانَ في دَلالْ

وسوف يشربُ الرَّدَى عدُّوه اللدودْ

ويسألُ المليكُ مَن يرشُّ لَحدَه بنارِ مَنْ بَغَى

وسوف تسقطُ الوجوهُ يومَها مِن ذِلَة السُّؤالْ

فـ (صاحبُ الجمال) يا عِيالُ لمْ يَمُتْ

أقول ذلك الكلام كي تُخففوا هجومَكم ، وتَحْقِنُوا سُعاركمْ

أقوله لتلْفِظوا لحومَ أهل العِلم مِن بُطونكمْ

أقوله لتعلموا بأن مَنْ يموتُ في سبيل ربه يعيشْ

أقوله لتُقلعوا عنِ الجدال والعِراك والنقاش والمِحالْ

أقوله ، ولا أخاف مَنْ يخصكم بماله الوفيرْ ، والمنصب الكبيرْ

ويُغرق العميلَ والخؤونَ والجَهولَ بالنوالْ

أقول: إن (صاحب الجمال) في عُيوننا مَصُونْ

كلامُه الصحيحُ في قلوبنا فداؤهُ المُهَجْ

بغيظكم موتوا وأعلنوا الحِدادْ

وكل مكر سيئٍ بأهله يحيقْ

وعند ربهم سيُجمع الخصومُ يا غثاءْ!

(شَايْلُوكُ) بِيدِهِ السِّكِينْ...

ويُريدُ اللحم لينهشهُ

وكذلك (فِرعَونُ) الطاغِي...

يعدُو خلْفَ سَرابِ الوَهمْ...

وأراهُ بكل بِطانتِهِ ، يَنفخُ أعفانًا في المَسْرَى...

ويُعربدُ في الأرض ويلهو...

ويَؤزُّ بدعواهُ المَلأَ...

وأرى (قارونَ) يُؤيدُهُ...

أمَّا (هَامَانُ) وفرقتُهُ ، فإلَى الإنسانيِّةِ يدعُو...

وبآلام العَجَزَةِ يلهو....

وعلى أنَّات الضَعَفَةِ عَزَفَتْ فِرقَةُ هَامَانَ

اللحْنَ العُذْريَّ طويلا...

وعلى أشلاء القتلى ، وعلى الأكبَاد الحَرَّى

يَقْعُدُ هَامَانُ ويخطُو...

أإلى هذا الحَدِّ وصلْنَا؟

وإلى هذا الدَرْك نَزَلْنا؟

سَلِّمْ يَا ربِّ مِنَ الفرعون ومِنْ عُبَّادِ ضَلالَتِهِ.....

والمَاضي الحَاضرُ يَقْطفُ مِنْ أزهارِ الخَوف...

فعَلَى الخوفِ نَبيتُ ونصْحُو...

وعَلى الخوفِ نمُوتُ ونحْيَا...

لمْ نخشَ الله ولمْ نتَّقِهِ...

ولذا خِفْنَا كُلَّ النَّاس...

تركيبةُ هذا الخوفِ تُخالِطُ دَمَنا وترائِبَنا...

والخوفُ يُعَرْبِدُ في الأذهان بكُل سَبيلْ...

وَالْخوفُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْوَلَدِ وَبَيْنَ أَبِيهِ

والخوفُ يُفَرِّقُ بين الأبّ وبنيه...

والخوفُ يُفرِّقُ بين الأخ وأخيه....

تعِسَ الخوفُ وتَعِسَ الخائفُ ماذا بَعد...

جاءَ الإنسانُ إلى دُنيانا هَذي مَرَّة...

ولسوفَ يُفارقُ هذي الدُّنيا أيضًا مَرَّة....

فِيمَ الخَوْفُ؟ لمَاذا لا ينتحِرُ الخَوف؟

واللغةُ العربيةُ تَصرخُ فينا: أينَ جَمالُ الحَرف؟

كيف تركتُم عربيتكم؟ كيف سَخِرْتم مِنْ أحرُفِهَا؟

كيف هَتَكتمُ عَفْويَّتها؟ كيفَ طَعنْتُم عربيتَكم؟

كيف قبلتُم هذا الضَعفْ؟

كيف تركتُم لُغَةَ (جريرٍ) و(المُتَنَبِّي)؟

و(الخَنْسَاءِ)؟ وكيفَ طواكُم هذا الخَسف؟

كيف رضِيتُم غيرَ لِسان العَرَبِ الفُصْحَى؟

كيف تنكرتُم للنَحْو العَربيِّ العَذْبْ؟

كيف هَجَرتُم كُلَّ عَروض الشِّعر؟

كيف نَهَرْتُم كُلَّ بَريءٍ دَافَعَ عَنْهَا؟

كيف ذبحتُم كلَّ لِسَانٍ فَذٍّ فَحْلٍ؟ كَيفْ؟

بل كيف محقْتُم حَنفيَّتكم ، وشربتُم دَمَ (أصحابِ الكَهفْ)؟

كيف تخليْتُم - يا قومي - عن عِزتكم؟

كيف تركتُم ظِلَّ الرُّمْح ، وَحَدَّ السَّيفْ؟

يومَ تركتُم حنفيتكمْ فلمَاذا لم يَبْقَ العُرفْ؟

دمعي في الفَلَوَات تَحَدَّرَ رغمَ الأنفْ...

وأنا اللغةُ العَزْلَى أبَدًا....

ودمي فِي أورِدَتِي جَفْ.....

وأحاول جاهدة أن أنصحكم

وأحاول أن أبعد عنكم كل ركيك لأعالجكم

وأحاول أن أرشدكم

أَتَذكرُ مِنْ صَفَحاتِ الماضي الذابلِ هذا الطِّفل...

لحَظاتُ العُمْر الراحل تحتَ تُراب الأرض....

والأملُ المُتحشْرجُ أبدًا في شُريان الكَون...

وأسائلُ نفسي ، كيف يَضيعُ الأصلْ؟

قد كُنتُ على فِطْرةِ ربِّي...

وحياتي في زَورقها تسعَى.....

وأنا أحيا وسْط الصَّحْب ، ووسْطَ الخَلقْ....

وكذلكَ أحْيا بيْنَ الأهلْ....

أستمتعُ بجمال الظِّلِ ، وأشْدو...

وأُداعِبُ في القَريةِ صَحْبِي.....

وأعُودُ إلى بيْت الأُسْرَة أَعدو ،

إنْ حانتْ سَاعَاتُ الأكلْ ،

أو فاجَأني عَبْرَ اللعِبِ اللَّيلْ....

حتى في مَدرستي ألهُو ،

وأُحدِّثُ كُلَّ أساتذتي ،

لا أخشى بَأسَ وظيفتهمْ ، أو حتى حَجْمَ عُقوبتِهم....

والأدبُ الجَمُّ رفيقي في التعبيرِ ، وفي التفسِير...

فأُعَبِّرُ عن نفسي ـ دومًا ـ فِي حُريَّة....

وأُودِّعُ كل لهيب الخَوْف الصامت مثْل الوَثَنِ على حَنْجَرتي....

وأوضِّحُ رأيي في جُرْأَة...

حتى إنْ كلَّفَنِي ذلك رُوحِي....

فأَحَبَّ أساتذتي كُلَّ كلامي ، وتَعَابيري...

عَلَّمنِي ذلك (عَرِّيفُ القريةِ) ثُمَّ (أبِي)...

ولقد أشقتْنِي تجربتي هذي جدًّا...

كنتُ أُقابلُ في مَفْخرة أصحابَ أبي ،

كُنتُ أُحدِّثُهم عَنْ نفسي...

كانَ الواحد منهم يَفْرحُ أني في استقبال فَضيلته....

كان أَبي يَفتخرُ بقوة عَزْمي عند نُزول الضيفْ...

مثْلي ـ فِيما أفعلُ ـ مِثلُ جميع الطِّفلْ...
سِتُ سنينٍ مَرَّتْ مِنْ أيام العُمْر الواجِمِ تَجْري...
وأنا ـ خلف سِنِي العُمْر الثائر ـ أجْري...
هل كنتُ أظنُّ بأنِي ـ يومًا ـ سَوْفَ أُسابقُ عُمري؟
لكنْ أقدامُ العُمْرِ الراحلِ ليْسَتْ تَعْرِفُ «هَلْ».....

أَتذكرُ مِنْ أيَّام العُمْرِ الذاهبِ يومًا لَيْسَ يُفارِقُ عيني...
يومَ كتبْتُ الشِّعرَ أُعبِّرُ عنْ آلامِي ،
عنْ تجربتي ، وأعبِّرُ عن أيام حياتي....
وتعَسَّرَ شِعري بينَ أنامِلِ قلمِي...
وتعالتْ صَيْحةُ دمعي ، يا ويحَ الدمع...
وبُحورُ الشعر تُعرقلُ كل جوادٍ ، ليسَ يُجِيدُ الشِّعر...
ولهَا أخذٌ بالألبَابِ شَديدُ الوَقع....
يُلْهبُ ظَهْرَ غَليظِ الطَّبع...
إنَّ الشِّعْر رَهيبُ الفَحْوَى...
أخشى مِن رهبتِه ـ يومًا ـ أنْ يَنتحرَ النَّبعْ...
وأُفتشُ فِي أرْوِقة الشعرِ عَنِ الخِلاَّن...
وأفتشُ في رحم الكلماتِ النَّشْوى...
لا ألقى شِعرًا ، أو أدبا...
وكتبتُ شُعوري شِعْرا...
حتى طالعْتُ عروضَ الشِّعر....
ذهبَ الظمَأ ، وأفطرَ قلمي ، وانقَشَعَ الرَّوع...

وكتبْتُ كثيرًا ، وكثيرا....

وسَمِعْتُ نصائحَ أستاذي...

فقرأتُ كثيرًا جدًّا ، ثم قرأت...

وزرعتُ الشِّعْرَ بأرض الشعرِ...

فأثمَرَ في تجربتي الحَرَّى كُلَّ الزَّرع...

حتى كانَ الحادثُ هذا ، فتحديْتُ جميع الشِّعر...

قلتُ: يَمينًا أكتُبُ في تعْزِيَةِ العَين...

وعلى كل بحور الشعر كتبْتُ شُعوري ، بلْ والدَّمع...

كانت هذي أولَ مَرَّة ، وكذلكَ هِي آخرُ مَرَّة...

أولُ مَرة: أكتبُ فيها شعرَ النثرِ ، ونثرَ الشِّعر...

وأقدِّم أسَفِي للشُّعراءِ وللأشعارِ...

ويكفي هذا مِن أوراق الماضي الضارب في طَيَّاتِ العُمْر...

وكذلك في طيَّات القلبِ ، وجَوْفِ الصَّدْر....

يكفي ما قدمتُ من الأشعار لمن يقرأها

يكفي أنْ كانت أشعاري ترجمة لسني العمْر

وتذكرتُ حَياةَ المعهدِ ، في بَلَدٍ تُشبِهُ قَريتنا...

حيثُ نشاطٌ يملأ كل الجوِّ عبِيرا...

وتلاميذي هُمْ أصحابي ، وأحبائي...

فلهُم كنْتُ «أبَشٌّ» كثيرا ،

ولخاطِرهم أملأ أرضَ الفَصْلِ حَرِيرا...

ويُحبون لقائِي دومًا...

وإذا قُلتُ: اسْتمِعُوا ، اسْتمَعُوا...

ورأيتُ الجَوَّ هنَاك يصيخُ الأُذنَا...

ورأيتُ كذاكَ الصَّمْتَ وفِيرا...

يا أولادَ المَعْهَدِ كُنتم زادًا للمستقبلِ أبَدا.....

زادًا لَسْتُ أراهُ يَسِيرا...

كنتُ أُعَطِّركُم تَعطِيرا...

كنتُ أراكُم أفضلَ ما في (المَعْهَدِ) حَقًّا...

أسمَى مَا فِي (المَعْهَدِ) أنتَم صِدْقًا ...

أطْيَبُ قومٍ أنتُم عِرْقًا....

كنتُ أراكم رغمَ ضغُوطِ الواقع هذا عُدةَ مُسْتَقْبلِنَا الحَالِكْ

وصناديدَ الفِكر ، بكم تتحرَّرُ كلُّ عُقولِ النَّاس...

وجَهابذةَ الأدب القاطِع أرضًا نَحْوَ البَأسْ...

ورياحينَ الأرض الظمْأى...

كنتُ أراكم ـ رغمَ تَحَدِّي الدنيا ـ فَوْقَ الرَّأس...

كنتُ أُرسِّخُ في أذهان كثير منكم أنَّا أَسْرَى....

وكذا الدارُ سليبةُ مَنْ نهبوها ، فِي غَفْلتنا...

في غَفلة أجدادٍ أيضًا كانوا يَنْتَسِبُون إلينا...

فَوَرِثْنَا الرَّايةَ في قِيعان الأرضِ عليها العَار...

وشربْنا الذلَّ كُؤوسًا مَلأى ، وكذاك شَرِبْنا النار...

رقصَ الشيطانُ أمام الكل ، فقالَ الجيلُ السابقُ: يا مَولانا...

والآن سنبذلُ دَمنا يا أولادي في إرْجَاع الحقِّ الضائِع مِنَّا...

ماذا قلتُم؟ فأجابوني: نحنُ وراءك يا هادِينا...
كنتُ أراكم يا أولادي ، وعليكُم هَالةُ أنْوَار...
كنتُ أرى شعلتَكم أزهى مِن جَوْهَرةِ المَاس...
وبَذلتُ لكم تجربتي والخِبراتِ الجَمَّة...
وبَذلتُ إبائي ، والإحسَاس...
ورجوتُ اللهَ يُباركُ فيكم ، يَجْعَلكم ربي فِي القِمَّة...
يجعلُ كلَّ غُلامٍ منكم لجميع الخلق النِّبْرَاس...
كان الخوفُ وبَاءً فيكم يُعدي...
فزرعتُ مكانَ الخوفِ القاتلِ جُرأة...
وغرستُ شجاعةَ نفسٍ تَسْحَقُ ذلَّ الجُبن...
دَوَّنْتُ العِزَّةَ فوقَ جبينِ الواحدِ منكم...
ثَمَّ بَذَرْتُ شُموخِي فِي القِرطَاس...
وحَرثْتُ الأرضَ مِرارًا ، وبلا مِقْيَاس...
لأُسجِّلَ في دِيوان الواحدِ منكم حُبَّ الحَق....
وكُرْهَ الباطلِ ، صارَ الواحدُ منكم صَلبًا كالمِتْرَاس...
غيرِي كانَ يُرسِّخُ حبَّ عِبادةِ غَيْرِ الله...
ومحبةِ ظِلِّ قُبور المَوْتى...
والنُّسكَ لغير اللهِ المَوْلَى...
وكذا دعوةَ غيرِ المَوْلى...
غَيرِي كانَ يُؤصلُ حُبَّ المَوْلِدِ ، والأَوراد...
كان يُروِّجُ في الأولاد لحُبِّ البدعَة...
وكذا يدعو للأورادِ الشيطانيَّة...

بلْ كانَ يُمهِّدُ للدَّجَال الأَعْوَر، يا للجَهل...

وحدي كنتُ أُحطِّمُ كلَّ أباطيل الصَّرْعَى...

ودعاوى الباطلِ هذي بالفَاس....

ويَئِسْتُ مِنَ الإصْلاح...

مِسكينٌ قلمي هَذا ، مَوءودٌ قَلْبي هَذا...

يَطلبُ ماءً فِي النارْ ، يَغْسِلُ بالحق وجوهًا جللها العَارْ...

فتَركْتُ المعهدَ ، والأولادَ جميعًا لمَّا حطَّمني اليَاس...

وفررتُ بديني ، مِنْ شَيْطانٍ يَتعقبُنِي...

وتَذكرتُ السُّوقَ يُجاورُ في قريتنا بَيْتِي...

وأنا أقصدُ سُوقَ القرية ، أبغي زادَ الدُّنيا...

زادُ الدنيا سَبَبُ شَقَاءِ الإنسَانيَّة...

دخَلَ الشيطانُ لآدمَ يا نفسي مِنْ هذا البَاب...

أغراهُ بأكل ثِمارِ الشَّجَرة...

وَسْوَسَ فِي إغراءٍ فَوْري...

وتظاهرَ بالنُّصحِ ، وقال نصحتْ...

قاتلَ ربُّ النَّاس النُّصْحْ...

أحدثَ هذا النُّصْحُ جراحًا شَتَّى...

كانت جُرحًا يسعى خلفَ ظِلالِ الجُرحْ...

والإبْلِيسُ عليْهِ اللعْنَة...

أمْسَكَ فِي الأزمةِ بالرُّمحْ...

أحدَثَ في دُنيانا البَلْوى...

واستعبَدَ أجناسًا شَتَّى...
وتمادَى في كيْل المَدحْ...
زادُ الدنيا كانَ السَبَبا...
وكذا الدنيا كانت سَبَبا...
سَبباً في تَخميشِ القَرحْ...
سُوقٌ هذي الدنيا حقًّا...
يُشبهُ في منظرهِ سُوقَ القريةِ مثلَ الصَّرح...
أذهَبُ سوقَ القرية وحْدي...
آخذُ مِنْ إنتَاجِ الأرض...
ثمَّ على الدراجة أعدو ، أقطعُ أرضًا حتى البَيت...
ذكرى سُوق القرية هذي في أخيلَتي مثل الصُّبح...

وتذكرتُ البحرَ بمَهْبِطِ رأسِي...
وكأني أخطِفُ مِنْ ذاكرة البحرِ الموج....
حتى ليَكادَ بريقُ الرمل على سَاحِلِهِ يطفو...
ويداعبُ كلَّ صخورٍ تاهتْ قد ألقاها البَحر...
يا ليت البحرَ تمادى في تدليلِ الصَّخر..
لكَأنَّ البحرَ جوادٌ ، والأحجار السَّرْجْ...
يندمجُ البحرُ بقلب الصَّخر...
ما أحلى ذاكَ الدَّمجْ...
والماضي الماثلُ فوقَ رَمَادِ التَّلْ...
ينسابُ قتيلاً في هَمَزات خريرِ المَاءْ...

يأتي الإعْصَار يُضمِّخُهُ بدماء الثَّلجْ...
وأقابلُ ـ عند البحر ـ عشِيقًا ألجمه العِشقْ...
ملاَّحٌ تاهَ ببحر التِّيه ، وأغْمَدَ سيفَ هَواه....
أشمتَ فيه نُسُورَ البَحرْ...
أشمتَ فيه كذلك كلَّ ذِئاب البَحرْ...
وغشى المَلاحَ سحابٌ يحمِلُ نُورَ الحَقْ....
فَرمَى المِجْدافَ ، وقامَ بوجهٍ طَلقْ...
وتنسَّكَ دهرًا ، ثمَّ طواهُ العُمقْ....
وانجرفَ سريعًا في تَيَّار الصِّدقْ...
وتحررَ مِنْ عَبْديَّةِ غيْر اللهِ ، وَودَّعَ غُلَّ الرِّقْ...
أدركَ حَجْمَ الفَرقْ...

ثُمَّ تذكرَ ماضِيَ أمسٍ وَلَّى ، فتناولَ أقلامَ الشِّعرْ...
وكذلك داعبَ كل قوافي الشعر ، فبكى ـ بالشعر ـ الهَدْي.
وبكى بالشعر النُّورَ ، وهاجَ وأرعدَ يبكي ألمًا كُلَّ الخَلقْ...
وكذلك يبكي الحق ، وأخيرًا يبكي تِيهًا أغرَقَ أرضَ الشَّرقْ...

مُقْلَة الآمال آذنْتِي الجِراحْ...
وطيوفُ الشعر في قلبي غَفَتْ...
والأغاريدُ الصِّحَاحْ...
إنَّمَا الآلامُ تُزكيها تعَاوِيذُ الشِّفَاهْ...
كيفَ هذا الحزنُ في قلبي نَمَا؟

كيفَ صارَ الحُرُّ كالكَلأ المُبَاحْ؟
يَشربُ الأتراحَ مِنْ بعدِ النُّواحْ...
وتجرُّ العائداتُ إباءه وكيانَهُ ،
فيُعانِي ، ليسَ يَسمعُهُ صديقٌ أو حَبيبْ ،
ثُمَّ يبكي ، ليس يُبْصِرُهُ خليلٌ أو رَفِيقْ...
وإذا أحشاؤهُ كَلْمَى تُعانِقُها البِطَاحْ...
فيقولُ الرَمْلُ مَرْحَى بالذي
عارضَ الكُلَّ ودَوَّى كالرِّيَاحْ...
رفضَ الذُّلَّ ، ولمْ يَرْضَ الخَنَا...
مَزَّقَ الإغْرَاءَ: عمدًا والرَّخَا ،
جاءهُ المَالُ وفيرًا كالمَطَرْ ،
فرماهُ ، واعتلَى مَتْنَ الصَّلاحْ...
وعلى أحلامِهِ رَفَع اللوا:
رايةَ التوحيد ، والهَدْي الشَّريفْ
لكنَّ الرايةَ في قوم سُكَارَى
مِنْ بَريق المالِ حَاكَوا ألفَ بُهتانٍ صُراحْ ،
وكذا حاكوا مِنَ الزُّورِ البَواحْ
أَلفَ تضليلٍ يُغشي كُلَّ أَنوار الصَّباحْ
فامْشِ في الأنوار وَحْدَكَ يا صَديقِي
إنَّمَا الكلُّ ضبابٌ وسَرابٌ يا رفيقِي ...
ضيَّعَ الأجدادُ مِنْ قبلُ عُرى المجدِ العَريقِ...
وكذا الأحفادُ يَجتثونَ آمَادَ الطرِيقِ...

مُقْلَةَ الأحلام ، مَاذا سيقولُ الناسُ عَنِّي؟

سيقولُ القومُ: إنِّي بعْتُ عَيني

لسرابِ الشِّعرِ ، والآهاتُ تمثيلٌ مُقَفَّى...

أيُّها العينُ ، هُراءٌ ما يُقالْ

وتخاريفٌ تُداجي ، وأباطيلُ يُحَليها الضلالْ!

وهُراءاتٌ كعزيفِ الجنِّ أو هَزْلِ العِيَالْ...

إنَّما نُورٌ بعينٍ يتجلَّى ، ويُغنِي ،

أخذتْهُ الرِّيحُ والأهْوالُ مِنِّي...

فرثيتُ العينَ بالشعرِ

لأنَّ الشِّعرَ مِضماري وفَنِّي

وعلى جَمْر دمائي وسُهَادِي

عشتُ أيامًا يُغَطي مِنْ أسَاهَا العَجْزُ وَجْهِي ،

وأنا في الكرب وحدي....

أيها العينُ أجيبي عَنْ سُؤالِي:

ما يقولُ الناسُ طيبِّهُم وسيئهُم أيا عيناهُ عنِّي؟

إنَّ في أعماقهم سُؤلاً يُداجِي

ويُحابي ، ويُناغِي ، وأنا مِن حُسْنِ ظَنِّي

أحسَبُ الغدار منهم مِنْ صِحَابي

سيقولُ الناسُ: هل بالشعر يُشرَى كلُّ شَيَ؟

هلْ بهذا الشعر تَبني في دُنا الأقوام بَيْتًا؟

هل سيأكلُ مَنْ تعولُ ـ اليومَ ـ شِعْرا؟

هل تُغطيهم مِنَ البَرْدِ الرَّهيبِ ببيْتِ شِعر؟
هل تكيلُ المَالَ للأولاد بالوزْنِ العَروضِي؟
وصُواعُ الشعر هذا هل سَيكفي
للذي تحتاجُ زوجُكَ مِنْ رِيَاش؟
هَل ستُسْكِنُ الأَولادَ والزوجاتِ في أبياتِ شِعر؟
أيها العينُ أجيبي كلَّ هذا في وضوح ، لا تُكَنِّي:
إنَّ هذا كلَّهُ زورٌ ، وإنْ لاحَ سَنَاهْ ،
وضلالٌ وانحرافٌ كأباطيل الغُفَاة ،
أو كآثارٍ على الرَّمْل لأسرابِ الشِّيَاة...
إنَّ هذا الشرعَ أكسيرُ الحَيَاة...
عِزةٌ أنْ يَخْرُجَ ابني للحياة
ليقول لجمع الحلق نصاً محتواه: هذه الأبيات غنَّاها أبي
هذه الألحانُ ألفها بريشتِهِ ومِغْزلِهِ ومِنْجَلِهِ أبي!
ذلك الإيقاعُ طرَّزهُ ونمَّقَهُ وزخرفَهُ وهذبه أبي!
ثمَّ يصغي من يريد الحق غضاً للفتَى....
فيقولُ العاقِلُ المقدامُ منهم: يَرحَمُ اللهُ أَباك.....
وسيأتي غيرهُ في التوِّ مسرورًا يُهَنِّي...
إنَّني أسألُ في عِتابٍ منْ يُداجي:
مَا يُريدُ بعد هذا المجدِ في دُنياهُ شبلي؟
أيريدُ العيشَ في القَصْر المَشِيد؟
أيريدُ المالَ والعِزَّ التلِيد؟
أمْ يُريدُ الوَحْلَ في قعْرِ التَدَنِّي؟

قدْ نسَجْتُ الشِّعْرَ جِلبابًا لهُ ،
وقصيدي في المَعَالِي والسَّجَايَا صُغْتُهُ ،
كلُّ هذا المجد قدْ طرَّزتُهُ ، وكذا الإشراقُ قدْ دَبَّجْتُهُ...
بعذابي ودعائي ودُموعي ودمي نَمَّقْتُهُ...
لو أردتُ المالَ بالشعر لضاعفتُ الغِنَى ،
ولمَّا كانَ افتقاري للبرايا مَعْلَما...
إنَّ هذا الأمرَ سهلٌ هَيِّنٌ!
غيرَ أنِّي عَنْ حياتي كنتُ قدْ بَاعَدْتُهُ.....

أَيها العينُ كفاني ما أُلاقي مِنْ هَوَانْ....
كم دَفقتُ الحقَّ كالزلزال في سَمْعِ الجَبَانْ ،
وبذرتُ النُّورَ في كل مَكانْ....
يَشْهدُ الأقوامُ هذا والزَّمَانْ...
لَمْ أَخُنْ عَهْدِي ، وإنْ خَانَ الرِّفَاق...
وطعنتُ الغَدْرَ ـ جَهْرًا ـ بالسِّنَان ،
وشربتُ المُرَّ مِمَّنْ نافقُوا...
فتَخِذْتُ الصَّمْتَ سَيْفًا بعدَما بُح اللِّسَانْ...
ثم في قِرطاس شِعْري يَزرعُ النُّورَ البَيَانْ...
وترش النارَ فوق قِرطاسِي القِيَانْ...
وأريجُ الشِّعْر يَغلِي في الجِفانْ ،
بعدمَا آنَ الآوان ، وتوارت صَرختي في ظلام الصولجانْ!

آهِ ، قد عزَّ الإباءُ ، وطابَ للدُّودِ الحِمَى ،
واستأسدَ السِّنَّوْرُ فِي دُنْيَا الوَرى ،
وَ«أَبيسُ» يَذبحُهُ الخُوارُ بِلاَ عُرَى ،
واسترجلت في ساحنا الغِيدُ الحِسَان ،
والناسُ قد باعوا الجِنَان ،
ورضُوا بعَيْشِ الذُّلِّ ، وانجَابَ الأَمَانْ...
وإذا بالعِلْم مَقْطُوعُ الوَريد ،
بَعدما دِيسَت بكل ضَرواةٍ قِيعَانُه...
وإذا بالدَّابَةِ العَجْفَاءِ تأكلُ فِي الهُدَى
وكذاكَ تلتهِمُ الفطاحِلَ مَنْ مَضَوا ،
وتَدوسُ مِنْسَأَةَ البَيَانْ! والأضاحيكُ توارت بعدما عزَّ الحنانْ!
وأقولُ: مَاذا يا دجاجلةَ الهَوانْ...
الحق سوفَ يُبيدُكم وبِرغْم طَنطَنةِ الجَبَانْ.....
وأنا أُسائلُ فِكرتي وقَريحتي:
فأقولُ: مَاذا خلفَ أشرعةِ القَضَا؟
مَاذا تُخبِئُ ـ يا تُرى ـ أيَّامُنَا؟
حتى مَتى في الدار يَنْعِقُ يا تُرى هذا الجَراد؟
وإلى مَتى أفعَالُ أغربةِ الهَوَان؟

مُقلةَ الخيراتِ ، يا عِزاً مَضَى:
أعلِني بقضاءِ مَوْلانا الرِّضَا ،
واستسلِمِي للهِ ، كُونِي قُدْوةً ،

لا تَقْنُطِي أَبدًا فإنَّكِ فِي الرَّزايا صَابِرة ،
فاستفيقي من كوابيس العذاب الجائرة
أنت في الدنيا إباءٌ ومَضَا...
فلمَاذا لا تُحبِّينَ القَضَا؟
إنَّمَا الآمالُ في الدنيا سَبيلْ...
والأماني مُقبلاتٌ ، ليْسَ يَكفِيها الفَضَا...
فلمَاذا الحزنُ دومًا ، والجَوَى؟
عَيْنُ كُفِّي الدَّمْعَ هذا واصمدي ، إنَّمَا العُمْرُ مَضَى...
كنتُ فِي المَاضي أحِنُّ إلى البَقَا ،
وأُسَلِّي النفسَ وَسْط الصَّحبِ لا ألقَى عَنَا...
كنتُ أتركُ مَنْ أساءَ ولمْ يكُنْ مُترفِقَا...
كُنتُ أحيا للجميع كشَمْعَةٍ تَهْوَى السَّنَا ،
وأزخرفُ الظِلَّ الظليلَ على جِدار شِبيبَتِي ،
وأعطرُ الذكرى بمِسْكِ المُلْتقى
كانَ حبي للحياة مُتوجًا بترفُعي...
فأرى الجميعَ بكل نفسٍ راضية...
وأُحِبُ في دنيا الأنام جمَالَها ،
وأمتعُ العينَ ، وأشدو للحَياة...

إنَّ نَجْمَ العُمْر صَعْبُ المُرْتَقَى...
فَلِذَا آثرتُ سُكْنَى خَيْمَتِي...
بعد أنْ عَزَّ اللِّقَا...

كيفَ يا قلبي الذبيحُ تَحَوَّلَتْ بِكَ هِمَّتِي

أصبحتُ كَمًّا مُهْمَلا

وعلى جبين الحُرِّ تنفعلُ الكآبةُ والبُكَا...

يا نفسُ هلْ لك مَوئِلٌ؟

قولي: وهل لك فِي الرزايا صَدْرُ خِلٍّ لَيْسَ يَخْذُلُ مَنْ أَحَبْ؟

آهِ مَا أقسَى جوابَك عبرَ هالاتِ الشَّقَا...

يا نفسُ ماضِي العُمْرِ ولَّى ، فاصْمُدِي...

كنتِ خيرَ النَّاسِ حَزْمًا وإباء واحتمالاً ومَضَا ،

فإذا بالحَزْم ولَّى ، وإذا بالعَزْمِ أرداه الأَسَى ،

وإذا بالكهْفِ ضاقتْ سَاحَتُهْ ،

وَإذَا بالكَون أَمسى ظُلَّمَا ،

وإذا بالكوخ أضحى أضيَقَا ،

وإذا بالكيد أودَى بالصِّحَاب وبالرَّخَا ،

وإذا بالحُزن يَبني قلعةً فِي مُهْجَتَي ،

وإذا الحَاضرُ سيفٌ ليسَ يَرحمُ بَائسًا ومُضَيَّقَا ،

وإذا بالصَّحْب آسادٌ تُمزِّقُني بدونِ هَوادةٍ ،

وإذا بالجُرحِ أمْسَى أعْمَقَا....

أيُّها المَاضِي رَحَلْتَ ، فهلْ تَرى لك عَوْدَةٌ؟

أمْ قد فَقَدتَ ببحر حُزني المَرْفَأ؟!

اسْبَحْ إليَّ إذا عَدِمْتَ الزَورقَا...

ابحثْ ـ فدتْكَ الروحُ ـ عَنِّي تَلْقَنِي

في مَأزقٍ صَعْبٍ يُدمرُني ، ويُرسلُ في الدَّياجي مَأْزقَا...

أبدًا تُداهمُني الخطوبُ ، وليس يَسمعُني الوَرى ،
وكأنني «رُخٌّ» بأيدي مَنْ طَغَى
يَترفع الشِّطْرنجُ عنْ تجريحِ مَنْ قد أسلَمُوا...
لكنِ الصَّخْرُ الذي في قلب خِلِّي ليْسَ يَسمعُ صَرْخَتِي...
يَتقاسمُ الأصحابُ عِرضِي في الوَرَى
وعديمُ الوُدِّ منهم قد أبادَ البَيْدَقَا...
ثمَّ أقبلَ مِنْ جَحِيم اللَّيلِ يلبَسُ خُوذَةً ،
وتَوارَى فِي نِفاقٍ باهِتٍ...
ثمَّ بَاغَتَنِي بضربةِ غادرٍ ، واستباحَ الفَيْلَقَا ،
ثمَّ مِنْ غِلٍّ يُقطِّعُ قلبَه
حَطَّمَ النُّورَ الزكيَّ المُشْرِقَا ،
وأزالَ العَزْمَ ، واجتَثَّ الضِّيَا...
آهِ مِنْ حِرْباءَ تُظْهِرُ حُبَّنَا
ثمَّ تُضمِرُ في سُويداء الفؤاد لهيبَها المُتَحَرِّقَا....
إيه يا دنيا فغري غيرنا
نحن أدركنا في الدياجي سَيرَنا

وقطارُ الرحمة أركبُه ، بعدَ الفجْرِ إلىَ الكُلِّيَّة...
وله مَرْأَى عذبٌ عذبْ...
فالأقوامُ كمِثْلِ السِّربْ...
وأقابلُ رُفَقَاءَ الدَّربْ...
مِشْوارُ حياةٍ مُزدهرٌ ، يَذْهَبُ في مَسْرَدِهَا الكَرب...

وكفاحٌ لا يخبو أبدًا ، مِثْلُ النَّجمْ....

والعُمْرُ على هَامِش دربي....

يَهْزأُ بالمَلهَاة الكُبْرَى

لا يَعرفُ أبْعَادَ الخَطب...

عشْرةُ أعوامٍ يا قَومِي:

أدرسُ فيها لُغَة الغَرب...

وتعلَّمتُ حَيَاة الجِّدْ...

كمْ أغرتْنِي فِتَنُ الدُّنْيَا...

وتحداني فيها الرَّيبْ...

بيْنَ ذَواتِ الكَعْبِ العَالي...

وكِعَابٍ أَتقَنَّ فُنُونَ العُجبْ...

بِعْنَ الدِّينَ ، وبعْنَ التَّقْوَى ،

وتعلمْن ضُروبَ الحُبْ ،

وأسرْنَ العَزْمَة واللُّبْ...

هنَّ نِتَاجُ البِيئَةِ هَذي...

يومَ تخلَّى عَنْ تربيةِ البِنْتِ الأَب ،

قدَّمَها في سُوق الهَزْلِ نظيرَ دراهمَ مَعْدُوداتْ...

والمجتمعُ الغارقُ في آبارِ الذَنبْ...

والكُبَراءُ ومعبوداتٌ شَتَّى ، عُبِدَتْ في سَاحَاتِ العُريْ...

يومَ تنازلَ عَنْ توجيه فتاةِ الجيلِ شُيوخُ العِلم...

يومَ امتلأتْ بالعفن الفنيِّ دماغُ فتاةِ الجيلْ...

عجبًا: كيفَ يُباعُ العِرضُ ليُمْلأَ بالأموالِ الجيبْ...

ونَصحتُ كثيرًا ، لكِني لمْ يُسمعْ لِي...

قيلَ تكلَّمْ سَنةً ، لنْ تلقَى مَنْ يَسْمَعُ لكْ...

كانَ نذيري يَملأُ نفسي ، لكني آثرتُ الصَّمتْ...

قلتُ لنفسي: كُفِّي هذا ، وتخلِّي عَنْ نُصْحِ الرَّكبْ...

فالمَوْجَةُ عارمةٌ تلفَحُ مَنْ يَقتربُ ويدنو...

إنِّي أزعمُ أنَّ دمارًا سَوفَ يُزيلُ الفتنةَ هَذِي...

لكِنْ ، في طيَّاتِ الغَيبْ...

سُنَنٌ لا تتخَلَّفُ أبدًا ، تأخذُ مَنْ أَفْسَدَ بالغَصْبْ...

تَنصِبُ ميزانًا للخَلقْ...

وتُحاسبُهم: فردًا فردا...

عشتُ الأربعةَ مِنَ الأعوام ، وسِرْتُ بقلبٍ عَطبْ...

وضَعَتْ كارثةُ الآثام بقلبي رِيحَ الحَربْ...

ومَشيْتُ ، وكُلِّي ذَنبْ...

وتجندلَ ـ عبرَ صِراع القِيَم ـ الأَرجُ العَذبْ...

وتحطَّمَ في آماد الوَهْم العُمْرُ الرَّطبْ...

وغزا قلبي رغمَ صِبَاهُ الشَّيبْ...

وصَدقْتُ ، وغيري أتقَنَ فَنَّ الكِذبْ...

سَمَّنْتُ ضُروعًا مُلِئَتْ بالأخلاقِ العُلْيَا...

ثمَّ لغَيْري طَابَ الحَلبْ...

وأُريقَ دمي في طُرقاتِ الكَيدْ...

وحَلا للسَّافِكِ دمِّي النَّدبْ...

عجبًا: كيفَ يموتُ الليثُ ، ويَعلو في دُنيانا الضَّب؟...

وتَذكَرتُ هِوَايَةَ صَيْدي ، بعدَ العَصْرِ ، وحتى اللَّيلْ...

ومعي الوالدُ ، آخذُ شِصِّي ، أجلسُ فوق جُذوعِ السَّروْ...

أضعُ الطُّعْمَ ، وآخذ في تَسليَةِ النَّفسْ....

فإذا وُضعَ الشِّصُ بماءِ التُّرعَةِ قالتْ شَفَتِي: باسمِ الله...

أوقاتٌ كان رَفِيقَ النفسِ عَلى هَامَتِها الشَّدْوْ...

فإذا اصطادَ الشصُّ تعَالىَ ، أخذ الشِّصَّ الزَهوْ...

وأفقْتُ ، فلا يأخذُني السَّهوْ...

فإذا ذكرتْ شَفَتِي عِرضَ أُناسٍ ، قالَ الوالدُ: هذا لَغوْ...

فإذا اصطادتْ شِصُّ الوالد ، أخفى ما أعطاهُ المَوْلَى...

كانَ يخافُ العَين ، فيرى أنَّ العَيْنَ تُعكِّرُ صفْوَ العُمرْ...

وتُعكِّر نَظَرَ العِينْ ، وتُعكِّرُ كلَّ صَفَاءِ الجَوْ...

بلْ واللهِ تُعكِّر حتى صَوْتَ الصَّفوْ...

بلْ وتُبدِّدُ ما أُعطِينا ، لا نَضْمَنُ مَعَها النَّجوْ...

وشربْتُ ـ صغيرًا ـ مِنْ أخلاقِ الوَالِدِ كُلَّ طِباعِ البَدوْ...

ونَهَلْتُ مَعينَ الحَفوْ...

عَلَّمني الجِّدَّ إباءُ أبِي ، جَنَّبَنِي فِي العَزَمَاتِ اللَّهوْ...

فنشأتُ عِصَامِيًّا صَلْدا...

حتى لو كنتُ بعيدًا عَنْ راحلتي ، عَنْ أَغنامي ،

عنْ أرض الرَّعْيِّ ، وعن رُمْحي والدَّلوْ...

وأخذتُ الهَدْيَ بما أُوتيَ عَقلي مِنْ قُوة....

لمْ أعرفْ طبعَ الأنثى أبدا...
وعلى أقراني كنتُ الأولَ دَومًا ، ما كانَ لغَيري الشَّأو...
وأُحبُ الفَرَسَ وصوتَ الخَيلِ ، وإنْ لمْ أغْزُ...
لكن نفسي ـ أبدًا ـ لَهفَى...
وتُحدث قلبي بالغَزو....
هلْ ذاكرةُ الشعر تُخبِّئُ هَذا...
وجواب سؤالي هذا: إِي ، لا غَرو...
لكنِّي لا أحفظُ شِعْرِي ،
أَجْهَدُ فيهِ ، وأُعطرُهُ ، وأهندِسُهُ ، وأرتِّبُهُ ،
وأنمقُهُ ، وأزخرفُهُ ، لكنْ أبدًا لا أحفظُهُ.....

وذكرتُ طفولةَ مَنْ يَنتقمُ مِنَ الحيوان ، بِغَيْرِ هَوادَة....
والنفسُ العُدوانيَّةُ فيه تُثيرُ الضِّحْكَة....
صاحبُنا يَذْبَحُ قطًّا ،
أو يقتُل طيرًا، يَنْسِجُ حَبْكَة...
أو يَرمي فوق مياه النهرِ الشَّبَكَة....
يَصطادُ كثيرًا مِنْ أسْمَاك النَّهر...
يرمي الأسماكَ سريعًا ، واحدةً تِلْوَ الأخْرَى...
تبقَى ـ في جَعبته ـ سَمَكة...
يَأخُذها ليُقطِّعَها بالسِّكِّين...
أو يَضربُ كَلبًا يَتعقبُهُ...
يضعُ الأغلالَ بأرجُلِهِ ، ويُمزقُه في الأحشاءِ بشَوْكة...

أو يُوقِدُ نارًا ليُحرِّقَهُ ، ثمَّ يقومُ بدفْنِ الفَحمْ...

ويُكبِّرُ أربعَ مِثْلَ إمَام الحَيِّ...

أو يَشنُقُه حيًّا بالأحبالِ ، ويَضربُ بالكُرباج الجُثَّة...

أو يَقطعُ مِنْهُ اللَّحْمَ الزائدَ في أعضاءِ الجِسم!...

عَجَبًا: كَيفَ يُنظِّمُ هذي الحَبْكَة؟

عجبًا ، عجبًا ، طِفْلٌ يَفعَلُ هَذا؟

عجبًا ، طِفلٌ فِي رقَّتِهِ مِثْلُ الزهرةِ يَفعلُ هذا؟

يجري خلفَ البَطَّةْ ، يَقذفُها بالحجر البَاغِي...

فإذا مَا جُرحِتْ عَالجَهَا ، وإذا ما كُسِرَتْ طبَّبَها...

وإذا سَلِمَتْ مِن ضَرْبَتِه ، نادَى رُفقاءَ جَريمَتِهِ...

وزَّعَهُم بجهاتٍ شَتَّى ، أعطاهُم أحْجَارَ الخُطَّة...

وجَرَى خلف البَطَّة...

فإذا مَا مَاتَت غَسَّلَهَا...

ثمَّ غَشَتْهُ التَّقْوى فَوْرًا...

فيُكَفِّنُها ، ويُلَحِّدُهَا...

وإذا كانَ لديهِ ضَحَايَا أُخرَى...

ألقَى البَطَّةَ فوْقَ السِّكَة...

أو أسْكَنَهَا جَوْفَ البِرْكَة...

عجبًا: طِفلٌ مِثْلُ الوردةِ يَفعَلُ هَذا؟

يَمضُغُ عَيْنَ البَطَّةِ مِثْلَ العِلْكَة....

لوْ لمْ أفعلْ هذا ، ما صَدَّقْتُ ، ولو في الرُّؤْيَا...

حتى لو قالوا: يَحْدُثُ هذا في الأحلامِ لقالتْ عينِي كُفُّوا...

هذي حقًّا بِئْسَ الإِفْكَة.....

رمضانُ الماضي مَرَّ ، وعيني في آفاق الكَربْ...

وصيامُ بقيةِ شَهْري كانَ مَعَ الأحزانْ!

وأتى رَمضانُ القادمُ مِنْ طيَّاتِ الغَيبْ...

لكن واأسَفَى مَا زالَ العَيبْ...

لم تذهبْ آلامي أبدًا ، لكن ذهبَتْ عيني!...

ورأيتُ الدنيا: نِصفًا فِي غيَّابَة جُبْ...

أقصِدُ في واحةِ ماءٍ تبكي الدنيا...

والنصْفُ الآخرُ مُحترِقُ الأحشَاءْ...

يا ويحَ العينِ مَضَتْ مِنْ غيْر مَضَاءْ...

والقلبُ الدامعُ ـ رغمَ الأُلفَة هذي ـ يَبكي...

يا ماضِيْ العُمْرِ تمَهَّل ، ارحلْ ، دَعْنِي وحْدي...

دَعْني في الدَّمْعَة وحْدي...

دعني لكروبي وحدي...

إنَّ الرحمَنَ مُعَوِّضُني...

وأنا أطمَعُ في (جَنَّاتٍ عند المولى ، كم فيها أنهار تَجْرِي...)

ولِذَا يَا شِعْرُ فإنِّي أبْذلُ صَبْرِي...

وأسَلِّمُ للمَوْلَى أمْرِي...

ما كُنْتُ أُريدُ خِتامَ قصيدِي هَذا بِالأَحْزَانْ...

لكنِّي ـ دومًا ـ أَصْدُقُ فِي شِعْري...

ومَصيري هذا مِنْ تجربتي ، أَجْرَعُهُ وحْدي...
أحْزانُ الغُربة هذي لحْدي...
مَطبوعٌ فيهَا مُنذُ المَهْدِ...
عفوًا يا عِطْرَ الشِّعرِ فَذَا مِنْ سُهْدِي....
عُذرًا يا عَيْنُ وعفوًا: أنتِ قَضيتِ علَى تَرنيمَةِ عُمْرِي...
قَدرُ المَوْلى لا تلتاعي سوفَ نُعوَّضُ يا آنسَتِي ...
قدرُ اللهِ ، وإنِّي راضٍ ، وأُسلِّمُ أمْرِي...
لكنْ حُزْنٌ داهَمَ قلبي ، ثمَّ عذابٌ حَطَّمَ قَلَمِي...
غلَبَ الحُزْنُ مِدَادَ القلمِ...
رفعَ الكربُ لِواءً مِثْلَ العَلَمِ...
والناسُ سرابٌ حوْلي....
والشعرُ يُعاني مِنِّي....
والأوزانُ تُعاني مِنْ أفكارٍ تَذْبَحُ قلمي...
يا تيَّارَ الوَهْم ، ويا ميعادَ شُجُونِي...
هذا قدَرَي ، مِمَّا كسبَتْ يدُ مَحْزُونٍ في دنيا الخَلقْ....

يا هذا الشِّعْرُ الحُرُّ ، إليْكَ وَداعِي...
قد كانت هذي أولَ مَرَّة....
وأكررُ ثانية: هذي كانتْ أولَ مَرَّة...
وأراهَا آخرَ مَرَّة....
بَرئتْ مِنْكَ دواتِي الخَجْلَى
بَرئتْ مِنكَ يَرَاعَةُ شِعْرِي...

برئتْ مِنْكَ شُمُوعُ الأَملِ الدامع عِنْدَ بُزوغ الفَجْرِ...
برئت مِن أوزانكَ هذي إيقاعاتي وقتَ السَحَرِ...
برئت منكَ شَكاتي النشوَى عند العَصْرِ...
آخِرُ يومٍ أكتبُ فيه الشِّعْرَ الحُرْ...
وكذلك آخرُ دَمْعٍ أبذُلُهُ بالشِّعرِ الحُرِ...
ودمي لنْ أكتبَهُ ـ صدقًا ـ بالشِّعر الحرِ...
إنِّ الشِّعرَ الحقَ بَريءٌ مِنْ لاشِعْرِي هذا...
عُذرًا ، يا عنترة الشِّعرِ ، ويا مُتنبي...
فالعينُ الحَرَّى تلكَ رِدَائِي...
لا تسألْنِي يا عنترةَ الشعرِ ـ هُنا ـ عَنْ ذَنْبي...
وأعودُ إلى الأشعارِ أُكرِّرُ أسَفِي ، وكذاكَ أُكرِّرُ عُذْري...
وخِتامًا يا شعرُ إليكَ شَكَاتِي ، وتَحِيَّاتِي...
صَدِّقْني ، كانتْ هَذي ـ يومًا ـ زَلَّة...
لنْ يُصْبِحَ شِعْرِي مُثْلَة...
لنْ أسمحَ ـ أبدًا ـ بكتابةِ شِعْرِ الذِّلَّة...
لنْ أتمادَى في سِرداب الشِّعْر الحُر...
وسَوْفَ أُطِلُّ على نافذةِ الشِّعْرِ العَرِبي...
وسأحْيَا أُنْشِدُ شِعْرَ العَرَبِ.....
مهما كاد طواغي الأرض ومنعوا شعري....
وحفيدٌ من أحفادي سيغني شعري...
وسينشره في طبعات شتى.....
ويحققه وينقحه ويبين للناس المعنى....

وسيشرح كل غوامضه....

وأنا منتظرٌ في قبري....

وأقدِّم للجهبذ شكري....

أني لم أستصحب بعد وفاتي شعري...

لم يدفن في لحدي شعري....

هذا يكفيني يا قومي...

وإلى اللقيا يوم النشر.....

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

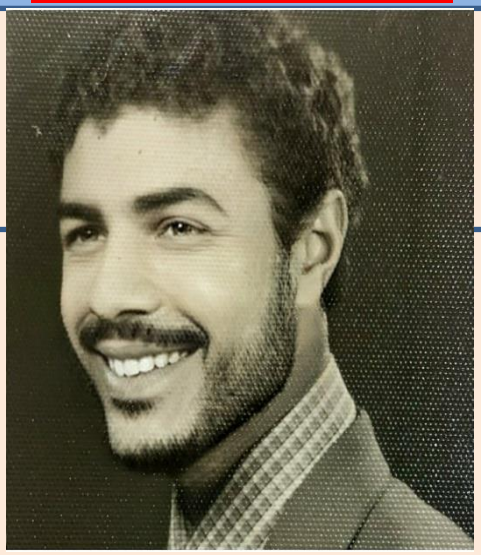

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض!

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
6 - Conversation Skills
7 - Correction Exercise (1-100)
8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
9 - Grammar Tasks (1-77)
10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond’s Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!